خيال × خيال

مغامرات النطاط العجيب

تأليف : محمود قاسم

دار الشروق

صفحة فارغة


مغامرات النطاط العجيب

الطبعـة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

(١)

إنه أمر لايمكن تصديقه . .

ولايستطيع أحد أن يصدق مضمونه . . فكيف لأحد أن يصدق أن كارثة قد حلت بمدبنة الحكايات ، تلك المدينة الواسعة التى يعيش فيها كل البشر الطيبين من أبطال الحكايات المعروفين فى كل التواريخ : علاء الدين ، على بابا ، سندباد ، ست الحسن ، عنترة ، أم الغولة ، على الزيبق ، وأيضا «الفارس النادر» .

تسرب الخبر فى بداية الأمر إلى مدينة «البرقوقة الطازجة» . .

ـ الحقوا . . لقد دمروا «مدينة الحكايات» . .

وسمع الناس هذا الخبر باعتباره شائعة ، وما أكثر الإشاعات فى المدن الكبيرة ، لذا لم يصدق أحد هذا الأمر ، فمن المعروف أن سكان «مدينة الحكايات» يهبون عند الحاجة لمساعدة الناس ، يذهبون بين الوقت والآخر إلى الناس فى أماكن عديدة من أجل تسليتهم ، والدفاع عن كل ماهو شريف ، ضد كل ماهو شرير ، ومؤذ .

إذن ، فلاشك أن سقوط «مدينة الحكايات» يعنى الكثير ، ويثير الرعب فى قلوب كل الناس الذين يعرفون أبناء هذه المدينة جيدا باعتبارهم قراء لأجمل القصص ، ومتابعين لأجمل حكايات الدنيا .

لكن الإشاعات زادت فى أرجاء المدينة بأن «مدينة الحكايات» فعلا قد سقطت بين أيدى أعدائها اللدودين . . ولم يصدق أحد هذه الأقاويل ، إلى أن تسربت إلى المدينة المجاورة المعروفة تحت اسم «التفاجة الزرقاء» .

هنا بدأت الإشاعات تتأكد . وأحس أصدقاء «مدينة الحكايات» بالجزع ، خاصة الذين يرتبطون «بالفارس النادر» ، أحد أشهر أبناء المدينة . وسرعان ماسخنت خطوط الهاتف فى المدينة ، بل وبين المدينتين اللتين لاتزالان تتنافسان فيما بينهما .

وكانت «مروة» هى الأكثر انزعاجا . فهى تحب «الفارس النادر» كثيرا . وراحت عشرات التساؤلات تملأ رأسها عن مصير هذا الرجل العجوز ، الطيب ، الذى يتحول عند الضرورة الملحة إلى فارس ، ملئ بالحيوية ، والشباب ، والقوة ، يمكنه بسيفه الغريب الشكل ، وبما لديه من ذكاء أن يجابه كافة قوى الشر .

واتصلت «مروة» بزميلها مصطفى . وجاءها صوته منزعجا :

ـ «مروة » . . هـل سمعـت الأخبـار ؟ . لقد قتلـوا «الفـارس النادر» .

وكـان هـذا وحـده كفيـلا أن يجعــل «مـروة » تخور مـن هـول الصدمة ، وأن تسقط منها سماعة الهاتف .

(٢)

وقف « «الشبح الأزرق» » فى أعلى بنايـات المدينة ، وهو يحس بفخر شديد ، وراح يردد لمساعده :

ـ رائع . . هذا أول شىء جميل نفعله منذ سنوات طويلة !!

راح صوته ينطلق جليا ، فهـذه أول مرة لايخرج صوته فى صورة كلمات على شريط معلـق فى بطنه . لطالما حلـم أن يتم لـه ذلك ، ولذلـك كان يتمنى أن يسيطـر على هذه المدينـة الواسعة ، «مـدينة الحكايـات » . إنه الآن موجـود هنا بعـد أن سيطر رجالـه عليها ، وأصبح كل شىء بين يديه ، وخاصة ذلك المبنى العالى الذى يعتبر بمثـابة بـرلمان المدينة ، والـذى كـان يلتقى فيـه « حكيم المدينـة » السابـق مع أبـرز أبنائهـا ، ويأخـذ استشارتهم ، قبـل أن تبدأ أى مغامـرة ، وأيضا فيما يتعلق بأى مـواجهة جديدة بينـه وبين المدينة الزرقاء .

أحس بشمـوخ ، وبدا كأنه سـوف يمسك المدينة بين أصـابعه الغريبة ، ومن شدة الغرور الذى تملكه . واستبد به . أحس برغبة فى الكلام كى يجرب صوته ، ورغـم أن صوته بدا أجش ، فإنه تكلم إلى مساعده ، وهو يحاول أن يبتسم بلاجدوى :

ـ لقد كانت مغامرة صعبة . .

بدا كـأنه يكـذب ، فهو يعـرف جيدا أن هـذه المغامـرة كانـت أسهل مغـامراته على الإطلاق . وخـاصة بعد أن حصـل على غاز «الذاكرة المفقودة » عن طريق أحـد أعوانه ، من عالم شرير يسكن مدينة « البرقوق الطازج » ، والذى كان يقوم بتجربة هذا الغاز على حيوانات التجارب .

كل مـافعله أن أرسل مجموعـة من الفرسان الـزرق ، واختطفوا العالم الشرير « شرشور » وأرغموه أن ينتج لهم مايكفيهم من غاز ، يمكنهم به أن يستخدموه بسهولـة ، من أجل السيطرة على «مدينة الحكايات » .

وسرعـان مـا استجـاب « شرشور » عنـدمـا وعـده « «الشبـح الأزرق» » أن يبنى لـه أكبر معمل فى الكون لينتـج فيه مايشـاء من غازات لزوم الشر .

وأصبح لـدى « «الشبح الأزرق» » مـايريـد من غـاز ، ولم يبق

أمامه سوى أن يطلق الغاز على أبنـاء المدينة . . كى يصيبهم جميعا بداء النسيان . .

وفى اليوم الحاسـم . طلب « «الشبـح الأزرق» » من رجـاله أن يتم تخدير عجوز المدينة ، الـذى يتحول إلى فارس نـادر ، والذى يناديه البعض أحيانا بـاسم « خير الله » ويكون أول من يطبق عليه الغاز . .

إنه لايستطيع أن ينسى أبدا تلك الخصومة اللدودة التى تولدت بينهما طوال المغامرات السابقة . وكم كان يخشى أن يتحول العجوز إلى صورته كفارس نادر عندمـا يبدأ غاز النسيان فى الانتشار داخل المدينة . .

وبدأت المغامـرة . . وماكان أسهلها مـن مغامرة، فقد تـم كل شىء بسرعة .

(٣)

وسرعان مـا التقى الأصدقـاء القدامى مـن مدينتى « التفـاحة الزرقـاء » و «البرقوق الطـازج » . . «مروة » . ومصطفـى وماجـد وعـائشـة ، من أجـل منـاقشـة الأخبـار السيئة التـى جـاءت مثيرة للتساؤل ، وغير كاملة حول سقوط «مـدينة الحكايات » بين أيدى

قوات المدينة الزرقاء . قال ماجد :

ـ لقد سقطت المدينة فى ثوان . . ودخل كل أبنائها السجن بلا أى مقاومة .

وكان هـذا وحده غريبا ، فكيـف لمدينة بها مثل هـؤلاء الأبطال الذين يتمتعـون بالذكاء قبل القوة الجسمانيـة أن يسقطوا بسرعة بين أيدى خصومهم . . ردت « مروة » فى أسى :

ـ إن للباطل جولة . . لكن ماهو مصير العجوز « خير الله » ؟

رد مصطفى : يقال إنه مسجون . .

قالت عائشة : بل سمعت أنه قد قتل .

وأحس الباقون بالانزعـاج ، فلاشك أن هذا يعنى أنهم خسروا صديقا مخلصا ، ورمـزا لمقاومة كافة قوى الشر فى كـل مكان . هنا قالت « مروة » :

ـ لكن كل هذه إشاعات . . فليـس لدينا سوى ماسمعناه من هنا وهناك .

قال مصطفى : وماذا أمامنا سـوى أن نصدق مانقلته وكالات الأنباء المتطورة .

قالت عائشة : علينا أن نتحقق بـأنفسنا من هذه الإشاعات ، وألا نصدقها بسرعة .

وهنا تدخل سامح قائلا :

ـ هناك حل واحد .

وتركزت العيون عليه كأنها تحاول أن تستلهم منه حلا ، فقال بكل ثقة :

ـ سنذهب إلى «مدينة الحكايات» بأنفسنا . .

وكانت تلك صدمة أخرى ، فلم يسبق لأحد منهم أن ذهب إلى «مدينة الحكايات» ولايعرف أحد أين توجد هذه المدينة حقيقة ، بدا سامح كأنه يلقى أمامهم بمجهول . لكنه أشار إليهم أن هذا هو مايملك أن يفكر فيه ، وأن يفعله ، هنا تدخلت «مروة» :

ـ ولماذا لانذهب إلى المدينة الزرقاء . لنعرف الأخبار الصحيحة من هناك ؟

وبدت كأنها تزيد الأمور غموضا . فمثلما لايعرف أحد الطريق إلى «مدينة الحكايات» ، فإن أحدا أيضا لايعرف أين الطريق إلى المدينة الزرقاء ، التى استولى أبناؤها على «مدينة الحكايات» . أحسوا أنهم مصابون بالعجز وأنهم لايمكنهم أن يفعلوا شيئا إزاء الموقف العصيب الذى وجدوا أنفسهم فيه .

لكن فجأة لمعت عينا عائشة ، وصاحت وهى ترفع أصبعها :

ـ آه . . لقد تذكرت . . عندى حل أكيد .

(٤)

كان أول برامـج « «الشبح الأزرق» » صباح اليوم هـو أن يشعر كل أبناء «مدينة الحكايـات » بما أصابهم بعد أن أصبحوا مخلوقات أخرى مختلفة وسقطوا أسرى لديه .

وكـان يومـا مهيبا احتشـدت فيه الجيـوش الزرقـاء فى السـاحـة الكبرى لمدينة الحكايات ، وراح حرس الشرف يقـرع طبوله قبل أن يصـل «الشبـح الأزرق» ليستعرض طـوابير الأسرى . كـان هنـاك طابوران أساسيان طويلان ، أحـدهما يضم أشهر أبطال الحكايات العربيـة مثل ذات الهمة ، وسندبـاد ، وجحا ، وحاتـم الطائى ، وعلى بابا ، وأم الغولة ، وست الحسـن ، أما الطابور الآخر فيضم أشهر أبطال الحكـايات العالميين مثل «تان تان» ، و«سـوبرمان» ، و«سنـدريللا» ، والفـأر «ميكـى مـاوس» ، و«باتمان» ، و«روبـن هود» ، وبقية المشاهير من أبطال الحكايات .

بدا كأنه قائد جيش منتصر ، يستعـرض أمامه طوابير العبيد ، والمسـاجين ، فقـد وقف كـل هـؤلاء الأبطـال شارديـن ، وكـأنهم مصابون بحالة من التيه ، وبمرض الشرود الذى لم يصب أحدا من قبل بنفس المنوال .

وقف فجـأة أمام رجـل عجوز أحنـى ظهره بشكـل لم يعهده .

فأحس «الشبح الأزرق» بالنشوة واقترب من الرجل قائلا له :

ـ أهلا . بحكيم المدينة . .

رفع «حكيم المدينة» العجوز رأسه إلى «الشبح الأزرق» . وبدا كأنه لم يفهم ماذا يقصده بالضبط . ثم سرعان ما خفض الرأس مرة ثانية باعتبار أن مثل هذا الكلام لايفهمه . وهكذا أحس «الشبح الأزرق» بفرحة غامرة وأن غاز النسيان قد فعل مفعوله ، خاصة فى حكيم المدينة . هنا التفت إلى أحد مساعديه وقال بكل ثقة :

ـ لامدينة حكايات بعد اليوم ياسادة .

وسرعان ماترددت جملته بين أتباعه ، فهكذا أعلن عن نهاية «مدينة الحكايات » وابتداء من هذه اللحظة سوف تختفى الحكايات والمغامرات الطريفة المثيرة من كل أنحاء الأرض ، سواء فى الكتب أو المسلسلات الإذاعية أو التليفزيونية ، وفى الأفلام والمجلات وسوف يستريح «الشبح الأزرق» ، للأبد ، من كل الحكايات التى تنغص عليه حياته .

تنهد بارتياح . ثم تذكر فجأة شيئا بدا كأنه كان يؤرقه . التفت إلى مساعده وهو يستعرض بعينيه هذا الطابور الطويل من أبطال الحكايات العربية وقال :

ـ أين « خير الله » العجوز النادر ؟

قال المساعد : إنـه هناك . . كما طلبتم فى سرداب النسيان . . لايعرف لنفسه اسما ولاهوية .

(٥)

أمسكت عائشة بخاتم صغير فى أصبعها وقالت بكل حماس :

ـ إنه هناك . . أنا أراه . .

وراح الـزمـلاء يلتفـون حـولها ، بعـد أن هـالتهـم دهشتهـا ، وحماسها . كـان الخاتم صغيرا بحيث لايمكـن لأحد أن يتـوقع أن بداخله شيئا . . قالت عائشة :

ـ انظروا . . إنه هنا . . فى الخاتم السحرى ! !

نظر الأصدقـاء إلى بعضهـم فى استغراب شديـد . ولكن ساميا شـاهد فجـأة شيئـا أشبه بـالمرآة الصغيرة فى فـص الخاتـم وقد بـدا بداخله جسم يتحرك . . تمتم :

ـ غريبة . . إنها مرآة سحرية .

قالت عائشة : إنه خاتـم سحرى . . أعطاه لى فارسنا النادر ، فى نهاية رحلتنـا معه ، عندما أخبرتـه أننى أود أن أراه ثانيـة فقال : «هذا الخاتم يجعلك تريننى . . مهما كان الزمان والمكان »

صفحة فارغة

وبينما هى تتكلم كان كل شىء قد تبين حدوده ، فقد شاهدوا العجوز راقدا فى نهاية سرداب غريب ، وقد استند على الحائط بعد أن دفن وجهه بين ركبتيه ، وكأنه غارق فى النوم . أحس الأصدقاء بأن هناك خطرا يحدق بالرجل ، وأنه ليس أبدا ذلك العجوز الملئ بالحيوية الذى يعرفونه جيدا . قال ماجد :

ـ أحس أنه فى مأزق . .

ردت «مروة » : وأنا أيضا . . يبدو أنه يبكى . .

هنا رفع العجوز رأسه ببطء شديد وراحت العيون ترقبه فى لهفة ، وبدأت ملامح وجهه الجامدة تظهر رويدا رويدا لدرجة دفعت مصطفى أن يقول فى حسرة :

ـ إنه تائه . . عيناه شاردتان . .

قالت عائشة فى أسى : فعلا . أشعر أنه فى حاجة إلينا .

كان أمرا عجيبا أن تدور الأيام ويصبح هذا «الفارس النادر » الذى يبدو الآن فى هيئته كعجوز طيب فى حاجة إلى أحد وهو الذى اشتهر فى الحكايات كلها أنه قد ساند الجميع دوما . هنا تدخل مصطفى قائلا :

ـ لكن أين هو الآن ؟

حملق الجميع فى المكان الذى يبدو فيه «الفارس العجوز النادر»

ولم يستطع أحد أن يتكهن بمكانه ، ولكن العجوز كان قد حرك وجهه أكثر من مرة ، وبدا فى حالة من التيه الملحوظ . هبت عائشة من مكانها وقالت :

ـ سوف ننقذه حتى ولو كان فى نهاية العالم .

وفجأة دق جرس الهاتف ، رفعت عائشة السماعة وراحت تتكلم إلى الشخص الذى طلبها ، سرعان ماتغيرت ملامحها وبدأت تردد عبارات غريبة من طراز « مستحيل ، لاتقل هذا الكلام ، كله إلا هذا » ثم فجأة وضعت السماعة . وكانت الوجوه أمامها مليئة بالتساؤل ، والترقب لأن تعرف إجابات لهذه التساؤلات . . ردت بكل أسى :

ـ الكارثة حلت فى كل المدن والبلاد . . لقد اختفت الحكايات .

(٦)

نزل الخبر مثيرا للدهشة فى كل أنحاء البلاد بعد أن اكتشف الصغار والكبار معا أن الحكايات قد اختفت من كل وسائل التعليم والثقافة ومن كتب المدارس ومسلسلات الإذاعة والتليفزيون ومن المجلات والأفلام .

وكـان هذا فى حـد ذاتـه مثيرا للقلـق ، فالنـاس تحب أن تحول حيـاتها إلى قصص وحكـايات مـن أجـل أن تتعلم المواعـظ ، وأن تستفيد من تجارب الآخرين ومن أخطـائهم ونجاحاتهم . ولذا فإن جميع الكتب السماوية قد امتلأت بقصص الأنبياء والشعوب ، ولذا فـإن شهرزاد فى « ألـف ليلـة وليلة » قـد تملكـت مـن قلب الملـك الطاغية شهريار من خلال عشرات ومئات الحكايات الجميلة .

وثـار الجدل بين الناس حـول هذه الظـاهرة الخطيرة التـى ربما تحدث لأول مرة فى التاريخ .

وكـان الجدل أكثـر سخـونة فى المدينتين المتنـافستين : مـدينـة «التفاحة الزرقاء» ومدينة « البرقوق الطازج» فسكانهما يعرفون جيدا فضل الحكـايات على تطور الأمـم ، كما أن «الفارس النـادر » بطل أبطال هذه الحكايات يتمتع بمكانة خاصة لدى الناس . لما حققه فى مغامرات سـابقة [١] مـن بطولات نـادرة استطاع بها أن يستعيـد الألوان المسروقة .

وبـدت عـائشة أكثـر الأصـدقـاء حماسـا لمعـرفة مـاذا حـدث بالضبط . . وخاصة للفارس النادر .

---

(١) راجع مغامرة « ابواب المستحيل الخمسة » من خيال × خيال الشروق .

فلا أحد يعرف سوى عائشة والقليل من أصدقائها الكتومين أن كل أبطال هذه الحكايات يعيشون فى مدينة مثالية واحدة، وأنه فى هذه المدينة يعيش الأبطال على أمل أن يحققوا السعادة للآخرين .

راحت عائشة تسترجع هذه الأفكار فى ذهنها ، وهى تتأمل أرفف الكتب فى مكتبة المدينة الكبرى، وهى تعرف أن زملاءها يفعلون نفس الشىء فى المدينة المجاورة . وبينما هى شاردة، تذكرت فجأة تلك المغامرة المثيرة ، فلمعت عيناها وهتفت بشكل مفاجئ كأن خاطرا قد أصابها :

ـ آه . . إنه هو . . «الشبح الأزرق» . .

وأسرعت مهرولة خارج قاعة الكتب ، واتجهت إلى أمينة المكتبة الحائرة ، وطلبت منها أن تسمح لها بالحديث فى الهاتف . وسرعان ماجاءها صوت مصطفى منزعجا :

ـ هه . . هل توصلت إلى شىء ؟

قالت فى فرحة : إنه الشبح . «الشبح الأزرق» . .

تمتم مصطفى فى الهاتف : فعلا . . إنها إحدى ألاعيبه . .

قالت عائشة وقد امتزجت الفرحة بشىء من الألم :

ـ يجب أن نتصرف . . وبسرعة . .

(٧)

قالت «مروة» :

ـ اسمعوا ياأصدقاء . . فى كل مغامرة سابقة من مغامرات الفنطازيا كان هذا «الشبح الأزرق» يسرق شيئا ثمينا من المدينة . . من أجل السيطرة عليها .

رد ماجد :

ـ لقد سبق أن سرق الألوان ، والطموح ، والبهجة ، والكلمة . وأشياء أخرى .

قالت عائشة والحماس يملؤها : واليوم سرق منا الحكايات .

وتدخل مصطفى : لكنه لم يسرق شيئا هاما . . العزيمة .

أحس الأصدقاء الثلاثة الذين يجلسون فى متحف المدينة للأجهزة العلمية المتطورة أن صديقهم مصطفى قد لمس وترا حساسا فى القضية ، وهى أن «الشبح الأزرق» الشرير الأول فى هذا الكون لن يستطيع أن يسرق منهم عزيمتهم ، خاصة فى أن يقوموا بإنقاذ صديقهم «الفارس النادر» خير الله ، وأن يحاولوا استعادته بأى ثمن .

لقد جاءوا جميعا إلى هنا من أجل البحث عن أفضل وسيلة يمكنهم استخدامها للوصول إلى «مدينة الحكايات» ، أو على

الأقل إلى المدينة الزرقاء ، فهذا أكبر متحف فى العالم يحتوى على الأجهزة العلمية الحديثة ، طائرات وسيارات لاتعمل بالوقود ، وأيضا صواريخ صغيرة وبنادق وأسلحة اليكترونية متطورة ، وكان آخر ماوصل إلى المركز هو الرصاصة الشفافة .

كانت إدارة مدينة « البرقوق الطازج» قد أصدرت قرارها بعدم التعامل مع هذه الأسلحة أو الأجهزة إلا فيما يفيد البشر، وقد سمح فقط للأصدقاء الأربعة : عائشة ومصطفى وماجد ومروة بالحضور إلى هنا لرغبتهم الأكيدة و إصرارهم فى استعادة أبطال الحكايات مهما كانت الأسباب والمتاعب .

لكنهم سرعان ما اكتشفوا أمرا هاما نطقت به عائشة :

ـ هذه الأشياء لن تفيدنا فى رحلتنا . . إنها مفيدة فى حكايات الخيال العلمى ،لكن حكاياتنا من نوع الفنطازيا . .

قال ماجد مؤكدا على كلامها :

ـ هل تذكرون البساط الالكترونى ؟

وتوقفوا فجأة عن الحركة والكلام كأنهم تذكروا شيئا هاما .

صاحت «مروة » :

ـ آه . . المخلاة البيضاء . . إنها الحل الوحيد .

(٨)

وأصر « «الشبح الأزرق» » أن يلتقي وجها لوجه بالعجوز خير الله. فقرر أن يذهب إليه بنفسه ، حيث وضعه رجاله فى أعماق السرداب الخامس البعيد ، وركب أحد جياده الزرقاء التى تخترق الزمن والمكان نحو السرداب الخامس . وهناك دخل من باب مسحور ، سار فيه طويلا على قدميه حتى رآه أمامه ، كان جالسا كعادته فوق الأرض منذ أن أتوا به إلى هنا .

. وبكل خيلاء وكبرياء رفع قدمه اليمنى ودفع العجوز بقوة فأسقطه فوق الأرض ، رآه متكوما وبدأ يرفع عينيه إليه ، كأنه يتساءل عن السبب الذى جعل هذا المخلوق الأزرق يدفعه هكذا ، قال «الشبح الأزرق» وهو يستعد لأن يركله مرة أخرى :

ـ أهلا بك . . أيها النادر . .

وأحس العجوز كأن «الشبح الأزرق» ذا العينين الحمراوين الغريبتى الشكل يعرفه أو يتصوره شخصا آخر ، كل مافعله أن حاول أن يحمى جسمه الضعيف من الركلة القادمة التى يمكنها أن تحطم له عظامه الهشة ، فتكور أكثر وأراد أن يستعطفه ألا يفعل ، لكن الضربة كانت قوية أزاحته بعيدا إلى أطراف السرداب .

ضحك « «الشبح الأزرق» » عند رؤيته جسد العجوز ، وهو

يتدحرج أكثر من مرة فوق أرضية السرداب . وكأنه لاحول له ولا قوة . هتف «الشبح الأزرق» :

ـ لقد جاء اليوم الذى رأيتك فيه هنا . سوف أعلمك كيف تكون ذليلا . . عبدا لى . .

لم يفهم العجوز الفاقد الذاكرة معنى مايدور حوله . ولا السبب فى هذه الكراهية البشعة التى تطل من عينيه الحمراوين، لم يعرف بالضبط ما السبب فى وجوده أسيرا فى هذا المكان ولا لماذا يركله هذا الأزرق الشرير . لعله أحد أسرى حرب لم يشترك فيها .

ورغم الضعف الذى يبدو على العجوز، فإنه رفع عينيه إلى «الشبح الأزرق» قبل أن يركله مجددا وسأله بصوت أجش عميق :

ـ لماذا تنادينى بالنادر . . ؟ إنه ليس اسمى . .

وقبل أن يكمل جملته انطلق «الشبح الأزرق» ضاحكا وجلجل صوته فى أنحاء السرداب الواسع . بدا معجبا بصوته الذى يجلجل منذ أن استولى على «مدينة الحكايات » ، لذا كان يضحك بسبب وبدون سبب والآن بدا الأمر مفرحا بالفعل بالنسبة له، فهاهو العجوز لايعرف أنه «الفارس النادر » الذى سرعان ماكان ينسلخ منه خاصة عند ما تبدأ المواجهة فيما بينهما .

استغرب العجوز لمنظره ، وكأنما أراد أن يؤكد له أنه ليس

الشخص المطلوب فقال :

ـ اسمى ليس « النادر » . . اسمى . .

وأخذ أن يهز رأسه وأن يتذكـر اسمه . بينما راح الشبح يستحثه أن يفعـل ليختبر قوة ذاكـرتـه المفقـودة . . فجأة أمسـك العجـوز رأسه، وصاح فى أسى :

ــ اسمــى . . لاشـىء ، لا اسم . . أنـا بـلا اسـم . . وهـذا أفضل .

(٩)

ـ اسمك خيرالله . . «الفارس النادر » . .

نطقت عائشة بهذه الجملة وهى ترى وقائع هذا اللقاء المثير مع زملائها فى مرآة الخاتم السحـرى . وقد استبد بها الحزن . وحاولت أن تمسك دمعتهـا ، لكنها لم تقدر، فبكـت بغزارة لما آل إليـه حال صديقها العجوز .

أرادت أن تخفى المرآة حتـى لايرى الأصدقـاء العجوز مهـزوما ، لكن مصطفى قال :

ـ نريد أن نعرف ماذا حدث . .

كانـوا قد قـرروا أن يعرفـوا مكان المخـلاة البيضاء التـى يحملها

صفحة فارغة

العجوز معه . والتى يستخرج منها مايفيده فى رحلاته ومغامراته . فراحوا ينظرون إلى المرآة . وشاهدوا وقائع هذا اللقاء الغريب بين «الشبح الأزرق» وبين العجوز، وأدركوا أن هذا الأخير قد أصابه داء النسيان. ورأوا «الشبح الأزرق» يغادر المكان ، وقد شعر بالزهو والفرحة الكبرى ، وراح يردد لرجاله الذين كانوا على مقربة منه :

ـ حتى يعرف اسمه . أغلقوا متاريس السراديب واشحنوها بعشرة آلاف فولت ، حتى لايقترب أحد منها وضعوا الحيوانات الأسطورية فى بقية السراديب . . حتى لايفكر هذا النادر فى الهرب . .

وضحك ضحكة مجلجلة أخرى . وقال قبل أن يختفى من المرآة المسحورة :

ـ سوف آتى هنا كل يوم . . كى أتشفى فيه . .

وخيمت خيبة الأمل على وجوه الأصدقاء الأربعة ، فرغم أنهم اطمأنوا أن العجوز لايزال على قيد الحياة ، فإن ماجدا قد تمنى أن يكون العجوز فى عداد الموتى بدلا من رؤيته على هذا الحال . أما «مروة » فقد تأكدت تماما أن من عاشر المستحيلات ، بل إن المستحيل المليون إنقاذ العجوز أو محاولة مساعدته ، فهو موجود فى أعمق السراديب ، السرداب الخامس . وهو فاقد الذاكرة ،

لايمكنه أن يتحول أبدا إلى «الفارس النادر» الذى يمكنه أن يتصرف عند الأزمات .

تمتمت «مروة» : خسارة . . لقد ضاع كل شىء . .

لكن عائشة ، المعروفة بإصرارها على النجاح دوما ، قالت :

ـ لا . . لم يضع أى شىء . . سوف نعثر على المخلاة . . إن لم تعثر هى علينا .

أحست عائشة ومصطفى أنه وسط هذا اليأس الذى يخيم على الموقف فإن أملا سوف يبدو فى الأفق ، تساءل ماجد :

ـ بالله عليكم ، أى أمل وسط هذه الظروف . ؟

صاحت عائشة :

ـ النطاط . . هل نسيت النطاط ؟

وبدا الجميع كأنهم قد نسوا أشياء كثيرة ، لعلهم أيضا أصيبوا بداء النسيان .

(١٠)

مسكين بطل حكايات الفنطازيا . . «الفارس النادر» . .

إنه هنا متكوم فوق الأرض بعد أن كبلوه بالحديد وتركوه وحيدا بدون طعام أو شراب ، سوى تلك القطعة من الخبز التى عليه أن

يتناولها بفمه من فوق الأرض إذا أصابه الجوع .

لم يهتم ببطنه الذى قد يشعر بالجوع فى أى لحظة ، ولابتلك اللقبمة الجافة ، ولكن كل ما أصابه بالأرق هو ماذا يكون اسمه . لقد ناداه هذا المخلوق الأزرق الذى يرتدى عباءة غريبة الشكل بالنادر . إنه لايذكر أبدا أن هذا اسمه . . إذن ، إذا لم يكن النادر هو اسمه . فمن يكون حقا ؟ . . لايعرف . .

حاول أن يعطى لنفسه اسما . . أى اسم . . لكن أسماء عديدة لم تعجبه ، وقرر أن يصبح بلا اسم جتى يمكنه أن يجد ماينـاسبه وأحس بالحيرة فلماذا يكون للناس أسماء ، ومن هذا الشخص الذى يختارها ، وهل يجب أن يناسب كل إنسان ماله من اسم ؟

فى دوامة السرداب راح يغرق فى عشرات التساؤلات . وتصور أنه لو خرج من هذا السرداب ، فسوف يجد لنفسه حرية وسوف يجد اسمه المفقود الذى لايعرفه بعد .

لكن فجأة لمعت فى رأسه فكرة غريبة وتساءل :

ـ لقد ناداني هذا الأزرق بالنادر . . إذن فهو يعرف اسمى .

وبرقت عيناه من الدهشة ، وقرر أن يسمى نفسه « النادر » ثم تراجع فجأة عن هذا القرار . فكلمة « النادر » صفة أكثر منها اسما لشخص ، خاصة إذا اقترنت بالتعريف « النادر » ، وراح يفكر مرة

ثانية فيما قاله الأزرق . لعله يقصد أنه شخص نادر كعجوز ، وأنه أكبر سنا وأكثر شبخوخة من كل البشر الذين يعرفونهم ، لكنه تراجع عن الفكرة ، فلا توجد أى تأكيدات أنه العجوز النادر . .

وفكر العجوز طويلا وبعمق وراح يغوص مع الكلمة فى أعماق الماضى والحاضر، وفى معانيها ، وراحت كل الذكريات تتوارد إليه . . لكن الأمر لم يكن سهلا . .

لكن . ولأنه النادر ، فلابد أن بـه خصائص مختلفة ، وخاصة مع شخص مثله ، فجأة لمعت عيناه وهتف من أعماقه :

ـ السيف . . أين السيف . .

إنه شخص غير عادى . إنه بطل أبطال الحكايات المثيرة ، ولذا فليس من السهل أن يؤثر عليه غاز النسيان ، كثيرا ولا قليلا . ولذا فوجئ بأن الحيوية تـدب فى جسده ، وراحت عضلاتـه تنتفش ، وهب فجأة من فوق الأرض وبدا جسمه كأنه سوف يملأ السرداب ثم هتف بصوته الجهورى :

ـ المعرفة والإيمان أساس الحق والقوة . .

(١١)

انها لحظة حرجة للغاية .

بل لعلهـا أشد اللحظات حـرجا فى الحكـايات ، فالأصـدقاء الأربعة قد فاتتهم رؤية هـذه اللحظة النادرة المنشودة ، لحظة تحول العجـوز الذى سرعـان ما استرد ذاكـرته المفقـودة بما لديـه من قـوة عزيمة .

كان الأصدقاء فى تلك اللحظات قد كفوا عن رؤية العجوز بعد أن آلمهم رؤية صديق عزيز فى مثل هذا الوضع المهين ، بعد أن ركله خصمه اللـدود « «الشبح الأزرق» » أكثـر من مرة وقـد أحس بـأنه هكذا يشفى غليله منه .

لقد قرروا أن يبحثوا عن الطريق إلى «مدينة الحكايات » ، فحتى الآن لا أحد يعرف أين تكون بالضبط ولا ماهو الطريق إليها . كان الهدف من الوصول إليها هو العثـور على المخلاة البيضاء السحرية التى يحتفظ فيها العجوز بكافة لوازم مغامراته فى بلاد الفنطازيا .

أحسـت عـائشـة أنـه رغم هـذه الهالـة مـن الغمـوض ، فـإن «النطـاط» سـوف يتدخـل فى الـوقـت المنـاسـب من أجـل إنقـاذ صاحبه ، لم يكن هذا النطاط سوى حيوان أسطورى صغير ، يكاد يبلغ طوله كف يد صبى صغير ، لكنه غريب الشكل والصوت لم

يسبق لأحد أن رآه من قبل ، لكن عـائشة سمعته يصرخ يوما أثناء المغامرة الشهيرة من أجل استعادة الطموح الضائع[1] . كان يتكلم مـن داخل المخـلاة . ليلتها سـألت العجـوز عمن يكـون فتردد فى بادئ الأمر ثم قال :

ـ إنه النطاط . .

سألته آنذاك : ومن يكون . ؟

رد : يكفـى أن أقـول لـك إنـه النطـاط . . مهمتـه حـراسـة المخلاة . . ثم هو أولا وأخيرا صديقى .

وسرعان ماجاء الرد من داخل المخلاة : لست صديقك . . أنا خادمك المطيع .

رد العجـوز كـأنـه يـرفض هـذه الفكـرة تمامـا : لا . . نحـن صديقان . . فقد عشنا معا سنوات طويلة .

وراحت عائشة تسترجع ذكرياتها قائلة :

ـ النطاط . . إنه صديق خيرالله . . النادر .

سأل ماجد : لكن من هو . . وأين نجده . . ؟

وقبـل أن يجئ الرد سمـع الجميـع صوتـا غـريبـا أشبه بصـوت القراقوز يتكلم فى حزن باد :

---

(١) راجع مغامرة « اختطاف قوس قزح» من خيال × خيال الشروق.

ـ أنا هنا . . رهن إشارتكم . .

وكانت مفاجأة مثيرة فقد رأى الصغار أمامهم نفس المخلاة البيضاء التى يحملها العجوز فوق كتفه دائما ، بدا الموقف مثيرا للدهشة . وتصلب الأصدقاء فى أماكنهم ، كأنهم تحولوا إلى ألواح من الثلج .

(١٢)

اطمأن «الشبح الأزرق» على كل هذه الكنوز الثمينة التى استولى عليها من «مدينة الحكايات» ، مصباح علاء الدين ، وذهب على بابا ، ومعدن الكريبتون الذى يكمن فيه سر قوة سوبر مان ، وسيف عنترة بن شداد ، وكتاب شهرزاد الشهير بألف ليلة وليلة وغيرها من الأشياء الثمينة المعروفة فى الحكايات .

لكن كل هذه الكنوز لم تكن لترضيه ، فقد كان يبحث عن شىء آخر طلب من أعوانه أن يفتشوا فى كل أنحاء المدينة والوديان المحيطة بها ، عن مخلاة بيضاء غريبة الشكل ، وعن السيف السحرى الذى كان يستخدمه «الفارس النادر» فى كل مغامراته .

إنه يحس أن هذا السيف هو سر قوة «الفارس النادر» ، ومن أجله قام بالاستيلاء على «مدينة الحكايات» ، وإن عدم حصوله

عليه يعنى أن انتصاره لم يكتمل . بل إن معركته لم تبدأ بعد .

لذا ، قرر فى اليوم التالى أن يذهب إلى السرداب الخامس ليجبر العجوز أن يخبره عن مكان سيفه الخارق الذى لامثيل له فى الدنيا ، ولكن كانت أمامه مشكلة . فكيف له أن يجعله يتذكر مكان السيف إذا لم ترد له ذاكرته .

وسرعان ماطلب أن يأتى إليه العالم الشرير « شرشور » الذى جاء وقد تصور أن «الشبح الأزرق» سوف يقدم له مكافأته الكبرى على مافعله معه ، بأن أهداه غاز النسيان ، ولذا أتى فى أبهى جله . وراح يفتش بعينيه عن الحقائب التى سيحملها ، وهو عائد وقد امتلأت بالهدايا والكنوز .

لكن هناك كانت المفاجأة إن لم تكن الصدمة الكبرى . فقد لمعت عيناه بالجشع ، وراح يطلب الهدايا بنفسه ، لكن « الشبح الأزرق» قال :

ـ اسمع يا«شرشور» . أريد غاز إعادة الذاكرة لبضع دقائق .

وبدا كلام «الشبح الأزرق» غريبا على «شرشور» . فهو شخصيا لم يسمع عن هذا الغاز ، وكل ماتوصل إليه فقط هو غاز فقدان الذاكرة ، فباعتباره عالما شريرا فلماذا يفكر أن يخترع غازا مفيد للناس مثل غاز إعادة الذاكرة ؟

واشتعل «الشبح الأزرق» غضبا عندما تأكد أن هذا الشرشور لايعرف شيئا عن غاز إعادة الذاكرة ، وفى قمة غضبه أصدر أمره إلى رجاله بأن يعلقوا « شرشور» فى قمة الهضبة الملتهبة حتى يتمكن من إعداد التركيبة الكيميائية لهذا الغاز الثمين .

ثم قرر أن ينطلق إلى السرداب الخامس حيث يتكوم العجوز فوق الأرض ، ورغم طول الرحلة وصعوبتها ورغم الجدران المكهربة بآلاف الفولتات ، فإن نظرة تشفٍ واحدة نحو العجوز الفاقد الذاكرة كفيلة أن تعوضه عن مشقة الذهاب يوميا إلى السرداب الخامس .

وبالفعل فقد أحس بسعادة غامرة عندما فتح باب السرداب المكهرب ورأى العجوز متكوما فوق الأرض ، اندفع نحوه وفى نيته أن يركله ، بينما بدأت الأبواب المكهربة تنغلق ثانية . وصاح «الشبح الأزرق» وهو يستعد لركل العجوز :

ـ أين السيف السحرى يانادر القصص الساذجة .

وقبل أن تنغرس قدمه بحذائها الحديدى فى ظهر العجوز فوجئ «الشبح الأزرق» بيد العجوز تحاول أن تصد الضربة عن صاحبها ، ثم فوجئ بقوة هائلة تدفعه كى يرتفع جسده إلى أعلى السرداب ، ويرتمى فى أطرافه قرابة الجدران المكهربة . .

وكان المشهد مثيرا ومفاجئا تماما .

(١٣)

ـ هذه المخلاة لاتأتى ولاتنفتح إلا لأصدقاء العجوز خيرالله .

هكذا ردد « النطاط » من داخل المخلاة ، والصغار ينظرون إليها فى دهشة . كان صوته غريبا ، ولاشك أن ظهوره نفسه أكثر غرابة . أرادت عائشة أن تنطق بكلمات تؤكد بها أنها نفس المخلاة التى يحملها ، لكنها بدت عاجزة عن النطق .

تماسك مصطفى وهو يقول :

ـ هيا . لنأخذ البساط الالكترونى .

وجاء صوت « النطاط » يعترض :

ـ لا . لن أساعدكم قبل الإجابة على السؤال القديم ، فأنا لا أحب صحبة من لايعرفون .

تساءل ماجد : اطرح سؤالك . ونحن مستعدون للإجابة .

وجاء السؤال : متى يموت الإنسان لآخر مرة ؟

بدا السؤال صعبا للغاية . فهل يموت الناس عدة مرات ، مرة أولى ، وثانية ، وثالثة . . و . . . وأخيرة ؟ جاءت كلمات «النطاط» حادة ، ومتعجلة الإجابة . وهو يقول : بسرعة . . أنا النطاط . . لا أحب التلكؤ . .

راح الأربعة يفكرون . وفجأة تذكرت عائشة شيئا ، فقالت :

ـ الناس يموتون عندما ينساهم الآخرون .

ووسط دهشة الباقين هلل « النطاط » : رائع . الآن سوف نبدأ الرحلة من أجل إنقاذ «الفارس النادر » .

وفجأة ظهـر زورق صغير فوق الأرض ، وصاح « النطـاط » من داخل المخلاة : بسرعة . . هيا إلى السرداب الأول .

لم يكن هنا وقت للتفكير فيما قالتـه عائشة . وكان على النطاط أن يشرح لهم فلسفة السؤال والجواب ، فالمنسيون هم فعـلا الموتى الحقيقيون ، وليس الموت فقط هو انفصال الروح عن الجسد ، فكم هناك أحياء لايـذكرهم البشر، وليس لهم من الحيـاة سوى الأنفاس التى يلتقطونها ، وكم هناك أموات منذ آلاف السنين وتسير الناس على مبادئهم ورسالاتهم ، مثل الأنبياء والحكماء والفلاسفة والأدباء والمشاهير .

وقبل أن يجلس الأصدقـاء فى داخل الزورق الصغير ، وقد حمل مصطفى المخـلاة ، كانـوا قد تنبهـوا إلى هذه الإجـابة الـواحد وراء الآخر فـأبطال «مـدينة الحكـايات » يمكنهـم أن يدخلـوا فى دائرة النسيان إلى الأبد لو اختفت سيرتهم من الكتب والمجلات وغيرها . لابد إذا من عودتهم بأى ثمن خـاصة أن الناس يحبون مغامراتهم فى كل زمان ومكان .

صفحة فارغة

وهكذا بدأت المغامرة . . ناحية السرداب الأول .

(١٤)

بدأت القوة تسرى فى جسمه الواهن ، فتحول من عجوز مسن إلى رجل قوى ، وبينما اندفع «الشبح الأزرق» بقوة القذف الهائلة التى رماه بها نحو آخر السرداب المكهرب الجدران . . انتفض «الفارس النادر » فوق الأرض وهو يصيح :

ـ «الفارس النادر » لايفقد الذاكرة طويلا .

ووقف وسط السرداب ،وقد وضع يديه على جانبيه ،وبدا كأنه كان رجلا مريضا أصابته أشد الأمراض فاسترد عافيته . وعليه الآن أن يثبت ذلك . وقف ينظر إلى خصمه وقد تمدد أرضا من شدة القذفة التى رماه بها .الآن تبدلت الأوضاع فهاهو، «الشبح الأزرق» متمدد فوق الأرض . وها هو «الفارس النادر » يبدو مسيطرا على الموقف .

اقترب منه، وقال :

ـ ركل الراقدين فوق الأرض من شيم الجبناء . .

أراد «الشبح الأزرق» أن ينادى على رجاله الذين يقفون خارج السرداب ، لكنه بدا كمن فقد صوته ، وإنه قد عاد مرة أخرى إلى

حالته السابقة إذا تكلم تظهر كلماته فوق شريط اليكتروني معلق على بطنه . أحس كأن «الفارس النادر» سوف يركله مرة واحدة ويحطم جسده الأزرق ، لكنه تذكر فجأة أن خصمه لايمتلك سيفا وأنه يملك سيفه الداكن الذى إذا لمس جسد أى شخص فسوف يمزق أى جزء يلمسه .

عقد «الفارس النادر» يديه حول صدره ، وقال :

ـ لقد آذيت قومى . . والآن جاء القصاص .

ولأنه «الشبح الأزرق» فقد انتفض فجأة من مكانه ، واستل سيفه من مكانه وراح يقفز عاليا عدة مرات كأنه يستعرض عضلاته أمام خصمه . وقال :

ـ إنه قصاصى أنا منك . . يانادر . .

وبكل سخرية وثقة فى النفس ، نظر «الفارس النادر» إلى خصمه الذى يقفز كمن فقد توازنه ثم قال له :

ـ حذار أن تتكهرب ، فالفولت هنا عال .

وفجأة استبد به الخوف ، وهو زعيم المدينة الزرقاء . إنه الخوف الذى يستبد به كلما وجد نفسه أمام هذا الخصم ، وتذكر أنه يرتدى حذاء من الحديد ، وأن هذا الحذاء لو لمس أطراف السرداب فسوف تسرى فيه الكهرباء ويشتعل . حاول أن يعطى لنفسه الشجاعة .

فهو يمتلك سيفا وخصمه أعزل . لذا اقترب منه وطوح بالسيف فى الهواء ناحية رأس «الفارس النادر» الذى سرعان ماخفض رأسه ، وقبل أن يرفعها تمكن من القبض على الأزرق من جانبيه وبكل مهارة وقوة، رفعه فى الهواء ثم رمى به فى الهواء ناحية الجدران المكهربة وهو يعرف تماما أن السيف سوف يلامس أطراف الجدران والكهرباء سوف تلمسه لامحالة .

(١٥)

انطلق الزورق فوق الأرض الصلبة ، كأنه يعرف طريقه جيدا ، قبل أن يندفع نحو الشلال الضخم ، الذى تبلغ قوة تدفقه عشرة آلاف متر مكعب كل دقيقة . وأحس الأصدقاء الذين بداخله أن التيار الشديد التدفق يمكن أن يبتلعهم معه خلال ثوان ، فراحوا يتذكرون ماردده الفرسان الثلاثة ذات يوم فى رواية الكسندر ديماس أن الواحد للكل ، والكل للواحد . فتماسكت الأيدى ، ورتلوا آيات القرآن الكريم ، وحاولت «مروة» أن تغلق عينيها ، إلا أن عائشة ومصطفى وماجد لم يودوا أن تفوتهم رؤية ذلك المشهد الخلاب ، الملئ بالإثارة ، فلم يسبق لأحد من البشر أن عاش مثل هذه التجربة فوق مثل هذا الشلال المجنون .

وتحرك الزورق بسرعة ، وصرخت «مروة » :

ـ سوف نهلك جميعا . .

لكن صوت « النطاط » جاء من داخل المخلاة يقول :

ـ تماسكوا ياأصدقاء . . سوف نطير . .

وكانت كلماته سببا لخوف أشد . لم يكن هناك وقت لتفسير كلماته ، فقد اندفع الزورق الصغير ، نحو حافة الشلال المتدفق ، وكأنه سوف ينقلب ، واحنى الصغار رؤوسهم ، وكأنهم مقبلون إلى مصيرهم . وراحوا جميعا يتلون الشهادة .

لم ينتبه أحد منهم أن الزورق قد طار فى الهواء ، وأنه بدا يحلق فى الفضاء ، ساقطا نحو أعماق الشلال حيث تندفع المياه بقوة هائلة ليس لها مثيل ، ولأول مرة ، لم تستطع عائشة أن تكتم مشاعرها ، فصرخت فى هلع ، لكن صوت « النطاط » راح يطمئنها :

ـ أيتها الجبانة . . انظرى حولك . .

ودت أن تصرخ فيه ، أحست أنه يسبها ، ويسخر منها وسط هذه اللحظات المليئة بالقلق ، والرعب . ومن جديد جاء صوت «النطاط» : افتحى عينيك . .

هنا صاح ماجد :

ـ آه . . ما أروع هذا المنظر . .

وفتحت «مروة» عينيها ، تلتها عائشة التى صاحت : يا إلهى . . ما أروع مخلوقاتك ! !

كان منظرا ، ويا له من منظر ساحر . . إنه الشلال أمام أعينهم ، يتدفق من أعلى بكل قوته ، ومن حوله يجمع رذاذ الماء قوس قزح بديع المنظر ، وعلى الجانبين ، غابات رائعة الشكل ، كأنها لوحة خلقها المبدع الأعظم ، هنا صاحت «مروة» :

ـ انظروا . . نحن فى زورق طائر . .

أكمل مصطفى : بل نحن فى زورق باراشوت . .

وبرقت عينا عائشة ، وهى تلمس مياه الشلال القوية ، التى راحت تتدفق أعلاهم وصاحت :

ـ نحن ندخل فيما وراء الشلال . .

لكن صوتها ضاع وسط صوت المياه المتدفقة بقوة ، فقد اخترق الزورق المياه المتدفقة من أعلى إلى ماوراء الشلال ، حيث تنتظرهم المفاجآت . .

صفحة فارغة

(١٦)

قبل أن يلمس سيف « «الشبح الأزرق» » الجدران المكهربة بثانية واحدة ، كان « «الفارس النادر » » قد قفز بسرعة هائلة نحو خصمه ، وقبل أن يسقط فوق الأرض تمكن من انتزاع السيف منه ، وبذلك أنقذه من موت محقق .

وسقط « «الشبح الأزرق» » فوق الأرض ، بينما فرد « الفارس النادر» قامته وهو يرى خصمه وقد بلغ أقصى درجات الهزيمة ، بعد أن تحول إلى كومة من اللحم الأزرق المتمدد فوق الأرض ، وقال :

ـ لا أحب أن أنتقم من الآخرين وخاصة خصمى اللدود .

وبكل إذلال رفع « «الشبح الأزرق» » رأسه إلى أعلى ، كأنه يود أن يستحلفه أن يتركه وألا ينتقم منه ، لكن فجأة برقت عيناه من الفرحة ودبت الآمال الشريرة فى أعماقه ، وضحك ثم أراد أن يقول له :

ـ لن تفرح كثيرا يانادر . .

لكنه لم يستطع أن يتكلم ، ليس فقط لأن صوته لايخرج الآن إلا عن طريق الشاشة ، ولكن لأن المعركة الحاسمة قد بدأت لتوها ، ففى تلك اللحظات ، فُتح جنوده الأبواب ، وفوجئوا بزعيمهم

راقدا فوق الأرض ، وأمامه يقف «الفارس النادر » شاهرا سيفه ، حاول أن يصيح فيهم على طريقته القديمة :

ـ اقتلوه . .

لايبدو أن رجاله قد أصابتهم الدهشة . فأسرعوا نحو «الفارس النادر » شاهرين سيوفهم وأحاطوا به ثم بدءوا يضربون بأسلحتهم فى الهواء ، وقد تجمعوا من أجل التخلص منه . وبدأت المعركة المثيرة .

لكن «الفارس النادر » ، قفز فجأة فى الهواء . ورمى بنفسه نحوهم ، وكأنه يقوم بمهمة انتحارية غير آبه لأن تنغرس السيوف فى صدره ، وأطلق صيحة عالية مرعبة جعلت الجنود الزرق يتراجعون إلى الوراء . وفى تلك اللحظات هب «الشبح الأزرق» من مكانه ، وقد تجددت الرغبة فى داخله كى يتخلص من خصمه اللدود .

وتشابكت السيوف فجأة ، امتد نصل السيف الذى يحمله النادر وبرزت له أربعة أطراف مدببة ، وراحت الأطراف تتشابك بمهارة فائقة مع الجنود الذين حاموا حوله .

بدت المعركة مثيرة ، وكان عدد الجنود يتزايد شيئا فشيئا ، لكن «الفارس النادر » راح يسقطهم الواحد وراء الآخر فوق الأرض ،

وبدا كأنـه زنبرك يتحرك بدرجة لا تستطيع العين العاديـة متابعته ، لذا بدأت رؤوس الجنود تلتف حول بعضها ، كأنها لاترى خصمها جيدا ، إنه يلف ويلف ويدور حول نفسه فى مهارة منقطعة النظير. بينما برزت عينـا «الشبح الأزرق» وقد ازداد لونهما احمرارا مـن الغيظ والدهشة .

ردد فى داخلـه : غـريـب . . كنـت أعـرف أن الكثـرة تغلـب الشجاعة .

لكن يبدو أنه لم يعرف أن هذا المثل ينطبق فى كل الحكايات إلا مع «الفارس النـادر» ، الـذى راح يتحرك بمهـارة كـأنه نجـم فى السيرك ، بلغ أكثـر درجات تـألقه ويتمتـع كثيرا وهو يستعـرض ما وهبه الله من قدرات .

(١٧)

هذا سرداب الفئـران العملاقة المزركشـة الألوان ذوات الـذيول الاشبه بالسيوف الطويلة .

ولأن أحـدا مـن البشر لم يصل إليـه مـن قبـل ، فإن المتـاعـب الحقيقية بدأت تتمثـل أمام الأصدقاء الأربعة عـائشة ومصطفى ، «مروة» ، ماجد .

ففى تلك اللحظات التى دخـل الزورق من باب السرداب كان

زعيم الفئران « المزركش الأكبر » جالسا أمام شاشة كومبيوتر ضخم ، تنقسم كوادره إلى ثمانى لقطات ، بحيث يمكنه أن يرى مايحدث فى أى ركن من أركان السرداب ، لعق لسانه ، وأشار إلى تابعه الأصغر إشارات خاصة كأنه يخبره أن الفأر قد دخل المصيدة .

وبالفعل ، فما إن دخل الزورق بداية السرداب حتى انغلقت البوابة العملاقة ، وبدت جدران السرداب كأنها عبارة عن كهف ليست له أبواب ، ولايعرف أحد إلى أين الطريق ، دب القلق فى القلوب ، وقالت «مروة » :

ـ يا إلهى . . لقد اختفى باب الخروج !!

رد ماجد : نحن لم نجئ هنا لنخرج . . بل لندخل فقط . .

وانطلق من داخل المخلاة البيضاء صوت «النطاط » استحسانا لما سمعه ، فهاهو ماجد قد اكتسب شجاعة خاصة ، ولم يعد يأبه بمصيره ، بل بهدفه الذى يسعى إليه . . ولكن فجأة قبل أن ينتبه الأصدقاء لملامح المكان سمعوا أصواتا غريبة ، كأن جبلا يتدحرج فوق جبل آخر ، وكأن حجارته الضخمة تندفع من أعلى بكل سرعة ، صرخت «مروة » :

ـ السرداب يتهدم ، اهربوا .

ولأول مـرة يتسرب الخوف إلى قلـب عـائشـة ، وهـى المعـروفـة بشجـاعتهـا . ولماذا لاتخاف والأصوات تزداد قـوة ، لـذا راحـت العيون تنظر فى خوف حولها وأعلاهـا ، وضاع صوت النطاط وهو يحاول أن يبثهم الشجاعة وسط هذه الجلبة العالية .

وفجـأة تـدفقت جحـافـل الفئران الصغيرة من كـل فتحـات السرداب . فئـران لاعـدد لها ، ولاحصر ، انطلقت نحـو الـزورق كأنها سيل متدفق من الكائنات الحية ، تكتسح كل شىء أمامها ، إنها فئـران متعـددة الألـوان ، منهـا الأحمر والأصفـر والبنفسجـى والأزرق ، لكـن ليـس مـن بينهـا فأر واحـد مـزركـش الألـوان ، اختلطت ببعضهـا فكونـت لوحـة كثيبة الشكـل ، وتدفقـت نحو الزورق كأنها سوف تخترقه .

ووسط هذا الضجيـج العالى ، وهذا التدفـق السريع ، لم يملك الأصدقاء سوى الصراخ ، لقد فقدوا كل أمل فى النجاة ، وراح كل منهـم يسد أذنيـه حتى لايسمـع هـذه الأصوات التـى تكاد تصـم الآذان . وقد أدركـوا أن الفئران سـوف تجرفهم معهـا وسيندفعـون جميعا نحو مصير غامض لايعرفه سوى الله .

لكن فجأة حدث شىء لم يكن فى الحسبان .

(١٨)

وقـف «الفارس النـادر » ممسكا سيفـه ، وراح ينظر إلى الجنـود الـزرق الذيـن تمددوا إلى جـوار «الشبح الأزرق» ، وأراد أن يتكلـم ، لكنه أحـس أنه حتى الكـلام لايليق بـأن يوجهه إلى هـذا الشرير الذى أصاب «مدينة الحكايات » بمرض النسيان .

قرر أن يأخذ خصمـه اللدود رهينة كي يدله على الطـريقة التى ينقذ بها أبناء قومه ، فقد تكوم «الشبح الأزرق» فوق الأرض وعندما انحنـى إليه ليقيـده ، ظهر على الشـاشة المعلقـة على بطنه بعـض الكلمات :

ـ إياك أن تلمسنى . وإلا كانت نهايتك غير طيبة .

بدا كـأنه شخـص مغلوب فى معـركة راح يهدد النـاس قائلا : «أنزلوا هـذا الشخص من فوقى ، وإلا ضربته» فهـو ممن لايعترفون بالهزيمة . قال «الفارس النادر » ، وهو يحمله على كتفه :

ـ سوف أريك كيف تكون نهايتك أنت . ومملكتك الشريرة . .

وراح يحرك قدميـه بكل قوته كـأنه يود أن يتخلص منـه ، لكن «الفارس النادر » حمله وراح يغـادر السرداب الخامس . بينما حاول «الشبح الأزرق» أن يصرخ وهو يرى خصمه يكـاد يلامس أطراف السرداب المشحون بأكبر شحنة كهربية موجودة فى الكون ، فمعنى

انـه سيـلامس تلـك النقطـة أن التيـار الكهربـى سـوف يسرى فى جسميهما وسوف يصعقهما . وينتهى الاثنان معا .

لم يدرك «الفـارس النادر » الخطر المقبـل عليه . إنـه يتصور أن الشبح يصرخ محاولا المقـاومة وليس كـى ينبهه إلى الخطـر ، فهناك دائرة كهـربيـة متطورة كـأنها حقـل الغـام مـن الشحنة العـاليـة ، ولايعـرف مكانها سـوى خبير الألغـام الكهربيـة التـابـع للمدينـة الزرقـاء . . وبالفعـل فقد داس «الفارس النـادر » فوق أحـد هذه الألغام وفى التو انطلقـت الشحنة العالية وألقت بـه وبخصمه مرة أخرى إلى أطراف السرداب .

كانت لحظات مثيرة .

تنبه « «الشبح الأزرق» » فجأة إلى جسمه فتحسسه هاتفا :

ـ مازلت على قيد الحياة . . غريبة ! !

لم يصدق . فهو يعرف أن أحدا لايمكنه أن يفلت حيا من هذه الشحنة الكهـربية المتـدفقة . أما «الفـارس النادر » فقـد حاول أن يقاوم أثر السقطة الهائلة التـى سقطها ، وراح ينظر إلى حذائه فرأى طرفـه يحترق وسرعان مـافهم حقيقة الأمـر . فهذا الحذاء قـد أنقذ حياته ، لقد امتص الشحنة الهائلة ، لكنها كانت أقوى منه فدفعته بعيدا ولولا قوته لتحطمت عظامه .

نظر «الفارس النادر» إلى خصمه، وقال له :

ـ حسنا . . سوف أجعلك تمشى أمامى . كى تكون مرشدى .

زحف «الشبح الأزرق» إلى الوراء قليلا كأنه يخشى ماينتظره من مصير وظهرت كلماته على الشاشة :

ـ ارجوك . . افعل بى أى شىء إلا أن تدفعنى أمامك . . سوف تصعقني الكهرباء .

كان خائفا، بل أشد الكائنات الحية خوفا . أحس «الفارس النادر» كم أن الأمر جسيم ، وراح يستمع منه إلى حكاية ألغام الكهرباء ، وإنها صممت بحيث لايمكن التحكم فيها إلا عن طريق المهندس الذى انقطع به الاتصال تماما . فلعله هرب عندما رأى زعيمه يسقط ، ولعله الآن فى مكان مجهول .

نظر «الفارس النادر» إلى حذائه الذى احترق ، وأدرك أنه قد امتص الشحنة الأولى ، لكنه الآن غير قادر على امتصاص أى شحنة بنفس القوة . . إذن فالأمر حرج ، وعليه أن يتصرف وإلا ظل طيلة عمره حبيسا مع هؤلاء الجنود الزرق وزعيمهم فى هذا السرداب .

(١٩)

فجأة ارتفع الزورق المسحور إلى أعلى .

لقد ارتفع فى الوقت المناسب ، وعلى وجه السرعة بدأت الفئران الملونة تصطدم ببعضها ، وكان اصطدامها مروعا . لقد كانت فئرانا هلامية ما إن تتخبط فى بعضها حتى تتحول إلى سائل ملون وسرعان ما امتزجت الألوان معا ، وكونت بحيرة صغيرة من الألوان المائية الجميلة ، راح الزورق يسبح عليها ، وتحولت أشكال الفئران البشع إلى منظر ساحر يخلب الألباب . .

كان الأصدقاء قد اغلقوا أعينهم وهو يتوقعون حدوث كارثة . . وعندما فتح مصطفى عينيه وكأنه يحلم، صاح :

ـ انظروا . . إنها أغرب بحيرة فى التاريخ .

وفتح الأصدقاء أعينهم وشاهدوا ما لم يتوقعوه . . ومن داخل المخلاة البيضاء جاء صوت النطاط سعيدا كأنه يقفز من الفرحة والبهجة ، أدرك الأصدقاء أن النطاط وراء كل هذا .

لم يكن هناك وقت للكلام ، بل الوقت كله للدهشة . هتفت عائشة :

ـ ياله من منظر . . إنها رحلة العجائب فعلا !!

لكن دهشتها ازدادت حين ظهر الفأر المزركش فى طرف

السرداب . إنه ضخم وعملاق يكاد جسمه أن يسد المكان ، بدت الفرحة على وجهه ، وهو يرى بركة الألوان وفوقها زورق الصغار، راح يلعق بلسانه الألوان ، كأنه يستعذبها ثم بدأ فى ارتشافها كلها .

صاحت «مروة» :

ـ انظروا . . إنه فأر مزركش . . غريب الشكل . .

قال مصطفى : إنه يريد أن يرتشف الزورق .

وجاء صوت النطاط : لعله يخاف أن يصاب بعسر هضم . بصراحة . . إنى أرثى لحاله لو دخلت إلى جوفه .

ورغم أن الأصدقاء أحسوا أن« النطاط» يمزح ، فإن الأمور كانت تتحرك بسرعة ، فالفأر المزركش يبدو شرها للألوان اللزجة التى كونت البحيرة التى يتحرك فوقها الزورق الصغير ، ولذا فهاهم الأصدقاء يقتربون منه . وبدوا كأنهم سيدخلون إلى الجوف المزركش خلال دقائق لا أكثر . فجأة جاء صوت «النطاط »من داخل المخلاة يقول :

ـ لايأس فى رحلتنا . . والعزيمة تُبلغ الأمل . .

وفجأة انفتحت فوهة المخلاة ، وبرزت منها أربعة أسياخ غريبة الشكل ، أحدها يبدو سميكا ومصنوعا من البلاستيك المتين والثانى من الصلب والثالث من معدن غريب ، ولكنه متعدد

الألوان ويبدو ضخما ، أما الأخير فكان فوسفوريا يجذب الانتباه إلى العيون . . أدرك الأصدقاء أن النطاط قد تدخل كعادته فى الوقت المناسب ، صاحت عائشة :

ـ رائع . . علينا أن نتصرف . .

وأمسك كل منهم سيخا بينما اقترب الزورق من الفأر ، وأصبح على مسافة سنتميترات من فمه الشره .

(٢٠)

فى السرداب الخامس ، سرداب القوى الكهربية العالية بدأ «الفارس النادر» يعد عدته من أجل عبور منطقة الألغام الكهربائية . ولم يكن أمامه سوى أن يجعل «الشبح الأزرق» ينطق بما يعرفه عن منطقة الألغام ، لكن هذا الأزرق أقسم بكل شرور العالم أنه مجرد زعيم للمملكة الزرقاء . وأن المهندس الهارب قد وضعه فى مأزق حرج .

وأمام هذا المأزق الحرج أمسك النادر بالسيف الذى كان قد أخذه من أحد الجنود وراح يقربه من فمه وتلا بعض الكلمات الغريبة ثم قال :

ـ كل السيوف تتحول فى يدى إلى سيوف خارقة !

وبدا كـأنه يفسر للشبـح الأزرق وجنوده المقيـدين فى سـلاسل متينة كيف استطاع أن يواجههم بـدون سيفه المعتاد . كان الموقف مثيرا ، فلو أن شحنة الكهرباء قد سرت فى هذه السلاسل التى تقيد الجنود الزرق فسوف تكون النهاية محتومة .

ومن جـديد حمل «الفـارس النادر » خصمـه الأزرق فوق كتفـه وتقـدم نحو منطقـة الألغام، بينما حـاول الأزرق أن يصرخ وكأنـه يردد :

ـ أيها المجنون لا أريد أن أموت مثلك . .

وتقدم النادر نحو الألغام الكهـربية وهو يمسك بسيفه ويجس بـه الأرض مثلما يفعل خبراء الألغـام ، وهـو يبحثـون عن أمـاكـن الخطر فى الصحراء . ثم فجأة سرت شحنة كهربية عالية فى السيف وسرعان مارفـع الفارس السيف إلى أعلى فظهرت الشحنـة بقوتها ، وانطلقت صرخـة من الجنـود المقيدين الـذين تصـوروا أن الشحنة سوف تطير نحوهـم فتسرى فى السلاسل ، وتكون نهايتهـم، لكن النـادر وجـه سيفـه بسرعـة فى دائرة لولبيـة وأطلـق الشحنـة نحـو الجدران .

ونتيجة لقوة الشحنة الكهربية التـى اصطدمت بالحائط ظهرت فتحة واسعـة ، بينما بدأ «الفـارس النادر » يجس بقيـة الأرض كأنـه

يقوم بواسطة سيفه السحرى فى جمع الشحنات من الأرض ، وكأنه لاعب بيسبول يقذف بالكرات إلى مسافات بعيدة ، وسرعان ماتطايرت الكرات الكهربية العالية الشحنة نحو أطراف السرداب. تعمل فتحات كبيرة فى الحائط حتى بدأ الحائط يتهدم ، الجدار وراء الآخر، وقد ملأ الخوف والرعب قلوب الجنود الزرق، أما «الشبح الأزرق» نفسه فكاد أن ينطق بلسانه لشدة ما أصابه من رعب.

لكنه تنهد وهو يرى خصمه الأزلى ينطلق خارج السرداب الخامس. الذى كان قبل قليل مشحونا بأقوى شحنات الكهرباء . . وأحس أن «الفارس النادر» يأخذه إلى السرداب الرابع الذى يعد أخطر السراديب على الإطلاق ، فهو ملئ بالألغام البيولوجية .

ود أن يحذره بأن « شرشور » هناك . وأنه ، من كثرة مايملك من أفكار شريرة يمكنه أن يفجر الألغام ، ولكنه تذكر أنه كأزرق لا يتأثر قط بأى انفجارات بيولوجية . . ولعل هذا سيكون سبب النهاية المحتومة لخصمه الأبدى «الفارس النادر» .

(٢١)

انطلق الزورق حاملا الأصدقـاء الأربعة نحو فم الفأر المزركش الذى بدا منـدهشا وهو يرى الزورق بـركابه ، وكأنـه لم يسبق له أن شاهد مثل هذه الأشياء ، وفتح فمـه علامة الدهشة وهو لايتصور أن أحـدا يمكنه أن يـدخـل سردابه ولا أن يقترب منـه ، بينما صرخ النطاط بكل حماس من داخل المخلاة :

ـ اكسروا له أسنانه . . بقوة . .

وراح يكرر الجملـة أكثر من مرة . فـاستبد الحماس بالأصـدقاء وبكـل قـوة دفـع مصطفـى السيـخ فى فـم الفـأر المزركـش ، بينما استجمعت «مروة» كـل شجاعتها وفكرت فى أن تـدس السيخ فى أنف الفأر ، لكنها تذكرت كلمة « النطاط » فضربت بكل شجاعة إحدى أسنان الفأر المزركش الذى ظل فـاغر الفم من الدهشة . . وفجأة صاح« النطاط» :

ـ بقوة قبل أن يغلق فمه .

وكانت الضربات الأربع قوية ، من «مروة» وعائشة ومصطفى وماجـد . وبدت الأسيـاخ متينة يمكنهـا أن تضرب الأسنان التـى انكسرت الـواحدة تلـو الأخرى ، وراح الفـأر المزركش يتراجـع إلى الوراء ، واستند إلى الجدران كأن خوفا استبد به .

وبينما توقف الزورق من تلقاء نفسه ، شاهد الأصدقاء منظرا غريبا ، فقد انكمش الفأر وراحت الألوان تتسرب من فوق سطح فروته ، وكأنها تتدفق مثل شلال ، فملأت الأرض ، بينما تضاءل حجم الفأر بشكل ملحوظ وكأنه سوف يختفى .

فغر كل منهم فاه وهتفت عائشة :

- إنه يموت . .

ردت «مروة» : الألوان سوف تغرقنا . .

صاح مصطفى : علينا أن نهرب .

وصرخ ماجد : يجب أن نجدف بسرعة .

وارتفع سطح بحر الألوان المزركشة بعد أن تساقطت من الفأر الذى عاد إلى حجمه الطبيعى الصغير وإلى لونه الأسمر الداكن وبدا كأنه عاصفة هوجاء قد هبت داخل السرداب ، فتكونت الأمواج المتعددة الألوان ، كأنها تطارد بعضها . الأزرق منها يطارد الأحمر واندفعت الأمواج تقذف بالزورق بكل قوة ، كما اندفعت نحو بوابة السرداب فى قوة ليس لها مثيل فى أى بحر فى العالم ، وسط صرخات الأصدقاء الذين أحسوا بأنهم هالكون لامحالة لولا أن «النطاط» قال من مكانه الذى لم يخرج منه بعد :

صفحة فارغة

ـ أيها الجبناء . . ألا تعرفون كيف تحولون صرخاتكم إلى شيء مفيد؟

وبدت كلماته مقنعة ولم يكن أمامهم سوى الهلاك أو أن يقاوموا ذلك المد الهائل الذى يكادون أن ينسحقوا منه . .

(٢٢)

ـ أنا «شرشور» . . عبقرى زمانى وكل زمان . .

وهكذا راح العالم الشرير يغنى وهو يتأمل شاشات الكومبيوترات المتقدمة التى يرقب بها مايدور فى مملكته التى استولى عليها أخيرا ، فبعد أن كان مجرد شخص يعمل لمصلحة «الشبح الأزرق» وبعد أن ساعده فى اختراع غاز النسيان ، فقد جاءته الفكرة أن يصبح صاحب قرار نفسه وأن يستقل بهذا المكان الذى ألزمه فيه «الشبح الأزرق» .

أخذ يغنى وكأنه لايريد للغناء أن ينقطع ، ولماذا لايغنى وهو يعرف أن «الشبح الأزرق» قد انهزم شر هزيمة على يد «الفارس النادر» بعد أن خرج من عباءة العجوز إلى كيانه الآخر، لقد تعمد أن تكون شحنة النسيان التى يشمها العجوز ضعيفة بحيث يمكنه العودة إلى الذاكرة مرة أخرى ، وهنا يستطيع أن تقوم معركة ينتهى

فيها الطرفـان المتصارعان منذ زمـن طويل ، وتصبح لـه سيادة هذا العالم .

إنه يعـرف أن كمية الشر التـى يمتلكها تبلـغ عشرات أضعاف مايملكـه الشبح الأزرق ، لكن هـذا الأخير يملك جيشا قـويا . . وماذا يفيد الجيش القوى أمام عقلية شريرة ذكية مثل« شرشور» .

عندما رأى على الشاشة باب السرداب ينفتح ، توقف عن الغناء وإن لم يتوقف عن الابتسام فتمتم :

ـ رائع . . فئران السرداب وقعت فى المصيدة .

ورآه أمامـه يدخـل من بـاب السرداب . إنه «الفـارس النادر » يحمل خصمه اللـدود فوق كتفه ، والذى كان يصرخ وكـأنه يود أن يتجنب خطـرا هو مقدم عليه . لعـق «شرشور» لسانه وهـو يبتسم وردد :

ـ رائع . . كل الغازات فى انتظاركما . . اطلبا تجدا ماتشاءان .

ثم راح ينظر إلى المفاتيح التى أمامـه ، فهذا مفتاح غاز التخدير وذاك مفتاح غـاز النسيان ، وهناك أيضا مفـاتيح لغازات الهلـوسة والجنـون وأخرى إذا شمهـا أى شخـص يصيبـه مرض الإحسـاس بالعظمة (بارانـويا) . ومفاتيح لغاز يصيب من يشمـه بحالة من الضحك المتواصل وأخـر بحالة من الولولـة والبكاء لاتنتهى . إنها

مفاتيح كثيرة لغازات تأثيرها قوى وأكيد، وليس عليه سوى أن يدوس على أى منها كى تحدث مفعولها .

لم يكن «شرشور» يعرف أن «الشبح الأزرق» يولول محذرا خصمه اللدود «الفارس النادر» مما يمكن ان ينتظره فى هذا السرداب الرابع الذى دخلاه توا . . فصرخ :

ـ اسمع ياخصمى اللدود . . سوف نهلك معا هنا . . أنا أعرفه إنه شرير.

ولكن «الفارس النادر» بدا كأنه لم يعد يسمع ، فلأنه يريد أن يعود إلى مدينته فإنه يعرف أن «الشبح الأزرق» هو الوحيد الذى يمكنه أن يرشده إلى الطريق الصحيح . . وأن يساعده فى إعادة الذاكرة إلى أهله وعشيرته فى «مدينة الحكايات» .

لكن يبدو أن «الشبح الأزرق» لن يستطيع إقناع خصمه الأبدى بالخطر الذى يقبلان معا إليه .

(٢٣)

وتدفقت موجات الألوان فوق بحر هائج نحو بوابة السرداب وصرخ «النطاط» قائلا :

ـ اغمضوا أعينكم فالضوء ساطع .

صفحة فارغة

ولم تتوقف الدهشة فى القلوب ورغم أن الصغار كان عليهم الطاعة فإن منظرا غريبا قد فاتهم عندما راح الزورق يسبح فوق البحر المتعدد الألوان ، وهو يمر فى ممر الأكسدة الذى تنطلق فيه أشعة قوية ، أشد من أشعة الشمس مئات المرات ، يمكنها أن تخطف الأبصار بسهولة ، ولكنها خالية من الحرارة ، راحت تقوم بعملية اكسدة للألوان ، المتعددة التى تشكل الأمواج الهادرة ، وسرعان ماخفت كثافة الأمواج واختفت الألوان تماما ، وقل اندفاع الزورق وهو يسير فوق قناة صغيرة نحو كوة صغيرة تبدو مظلمة .

واندفع الزورق داخل السرداب الثانى .

هنا صاح « النطاط » :

ـ الآن يمكنكم أن تنظروا إلى ماحولكم .

وراح الأصدقاء يفتحون عيونهم ، وكان أجمل المناظر التى يمكن للمرء أن يشاهدها فى حياته ، وكأن رحلة العجائب هذه تخبئ فى كل مرة أروع المناظر وأكثرها خلبا للعين ، صاحت عائشة :

ـ يا إلهى . . أنها ساحرة ! !

هتف ماجد : لعلنا فى الفردوس المفقود .

أسرعت « مروة » تقفز من الزورق الذى رسا على شاطئ بحيرة صغيرة ، وأرادت أن تنطلق إلى شجرة قريبة ذات ثمار غريبة الشكل

وهى تردد :

ـ يا إلهى . . أنا جوعانة ! !

ولم تسمع «مروة» صوت «النطاط» وهو يحذرها من الاقتراب من الشجرة أو اقتطاف أى ثمرة منها ، فقد دفعها الجوع نحو الشجرة ومدت يدها لتلتقط ثمرة ذهبية اللون أشبه بفاكهة الباباظ ثم أمسكتها بين يديها ، واستعدت لالتهامها ، لكن فجأة خطف مصطفى الثمرة وألقى بها بعيدا :

نظرت إليه «مروة» فى غضب صائحة :

ـ ماذا بك . ؟ أنت تأخذ منى ما أحصل عليه . .

فى تلك اللحظات وصلت عائشة وكانت تحمل المخلاة على كتفها قائلة :

ـ لاتغضبى هكذا بلاداع ، اعرفى السبب أولا .

قال مصطفى : لاتنخدعى فى شكل الأشياء . .

وبدا الأمر غامضا ، بل لعله شديد الغموض . .

(٢٤)

وأمام تلك التوسلات الكثيرة التى أخذ ينطق بها «الشبح الأزرق» لدرجة أنه راح يبكى بحرقة قرر «الفارس النادر» خيرالله

أن ينـزل خصمـه مـن فـوق كتفـه ، فـارتمى فـوق الأرض وأراد أن يستعطفه وراحت كلماته تظهر على شاشته :

ـ بالله عليك لاتدخل هنا . .

وكـان الموقـف غريبـا ، فهـذه هـى المرة الأولى التى يـرى فيهـا الفـارس خصمه بهذا الضعـف ، رأى عينيـه الحمـراوين تلمعـان بالإذلال ، أراد أن يصدقه فلـم يجد فى هاتين العينين مايشجعه على ذلك . . التزم الفـارس الصمت وترك خصمه يتكلم بـل ويتوسل كما يبدو على الشاشة :

ـ أرجوك . . لاتتقدم فهناك أشياء يمكنها أن تغير كونا بأكمله إلى الأسوأ .

وأخفض رأسـه كأنـه يبكى ، لكـن مثل هـذا الأزرق لايبكون بسهولـة ، ودموعهم دائما جـافة ، ولأنه أراد أن يحدث تـأثيره لدى «الفارس النادر» قال له :

ـ مثلما حدث لمدينتك . .

لم يكن «الفـارس النادر» قد استجمـع حتى الآن مـاحدث فى «مـدينـة الحكايـات» بـالضبـط ، ولم يكـن يعرف أى خطـر قـد أصابهم ، لذا انحنى إلى خصمه ، وأمسكه مـن عباءته الزرقاء التى يخفى أسفلها جسمه الغريب الشكل وصاح :

ـ ماذا حدث لقومى يا أزرق ؟ . تكلم ياداكن . .

وبدا كأن الأزرق يـود أن يستجمع قدرته على الكـلام . وبدت الشاشة متذبذبة ، كأنها لم تعـد بقادرة على ترجمة مايقوله إلى كلمات مكتوبة . ثم ظهرت الكلمات بحروف متقطعة كبيرة :

ـ النسيان .

ولعبت رأس «الفارس النادر» قليلا وتذكـر الحالة التى أصابته وتنبه إليها ، وهـو فى السرداب الخامس ، بدا كأنه قـادم من عالم لم يتذكر عنه شيئا . . وأحس نفسه كأنه فى دوامة . وحاول أن يفهم ، ومن الواضح أنه فهم شيئا ما . بينما بدأ «الشبح الأزرق» يستجمع شجاعتـه وقوته مرة أخـرى رغم كل المخـاطر التى تحيط بـه ، فهو يعرف أنهما قد دخلا منطقة الخطر ، وأن «شرشور» يمكنه أن يختار الآن مايشاء من غازات كـى يطلقها فى هذه الدائرة من السرداب ، ويجعلهما يفعـلان مايـريـد . يضحكـان دوما ، ينسيـان ، يلعبـان عجين الفلاحة ، أو ينامان الدهر بأكمله . هنا تساءل الفارس :

ـ هل هذا هو سرداب النسيان . . ؟

وجـاء رد «الشبح الأزرق» على شـاشته : لا ، بـل أكثر ، إنـه سرداب الشرور ، سيطر عليه «شرشور» .

وأحس «الفارس النـادر» أن خصمه يسخر منه وكأنه يـدبر له

مقلبا من المقالب التى لاتنتهى ، فقرر أن يجعله يدفع الثمن وانحنى إليه وحمله مرة أخرى فوق كتفه ، وانطلق به فى السرداب وهو يتوعده . . لكن أى وعيد هذا الذى ينطق به النادر مقابل ماردده «شرشور» فى مكانه ، وهو يرى مايحدث أمامه .

ـ رائع ، الآن . . علىّ أن أختار الغاز الأمثل لكل منكما .

(٢٥)

إنه السرداب الكاذب . .

فلاشىء حقيقى فى هذا السرداب ، فما إن نظرت «مروة » إلى ثمرة الباباظ الذهبية التى فى يدها وهمت بالتهامها حتى أطلقت صرخة مروعة ، وهى تقذف بها بكل قوة .

هنا أسرع الزملاء إليها بينما جاء صوت« النطاط » :

ـ لايلمس أحد شيئا . .

نظروا إلى الثمرة وقد تحولت إلى كائن أسود غريب صغير الحجم ملئ بالأشواك ، أشبه بحيوان « الريتس البحرى » ، راحت أشواكه تتحرك . بينما لمعت العيون فى دهشة ، هتف مصطفى :

ـ هل كنت ستأكلين هذا . . ؟

انحبست الكلمات فى فم «مروة » . وهى تتصور هذا الكائن

الشوكى وقد راحت تقضمه ، وشعرت أنها أخطأت حين تصورت أن زميلها مصطفى كان يود أن يخطف منها الثمرة . . حاولت عائشة أن تبث الشجاعة فى قلوب الزملاء ، وراحت تفكر فيما كان يمكن أن يحدث لو أن «الفارس النادر» قد اصطحبهم فى هذه الرحلة . ثم بدأت تطلع إلى المكان الجميل من حولها وتمتمت :

ـ هذا مكان رائع لكنه يخفى وراءه أشياء بشعة .

وقبل أن تنتهى من كلماتها انطلقت صرخة من ماجد ، الذى بهرته ثمرات الكراز فوق شجيرة صغيرة فاقترب منها وراح يقطفها . لكن الثمرة لم تنزع بسهولة من فوق غصنها ، وما إن أمسك الغصن بيديه حتى أحس به يتحرك بين أصابعه ، وكأن الحياة دبت فيه فأطلق صرخة رعب وهو لايصدق عينيه اللتين رأتا ثمرة الكراز وقد تحولت إلى رأس أفعى ، أما الغصن فقد أصبح حية زرقاء اللون سرعان ماسقطت فوق الأرض وزحفت بسرعة بين الأغصان حتى اختفت .

أسرع إليه زملاؤه وقد انتابهم الرعب لما أصابه . راح يشير إلى الفتحة التى هربت منها الحية وكأنه عاجز عن الكلام . هنا رددت «مروة» :

ـ إنه بستان الرعب .

بدت عائشة وكأن دورها هو بث السكينة فى قلوب أصدقائها .
وحاولت أن تستجمع عزيمتها ، وهى تقول :

ـ بل هو بستان المزاح . فلو أرادت الحية أن تؤذينا لفعلت .

لم تسمع تعليقا من الباقين، وبدوا كأن ماحدث قد ألجم ألسنتهم وأصابهم بوجوم بدا مرسوما على وجوههم البريئة ، هنا ردد ماجد :

ـ لانعرف ما الذى أتى بنا إلى هذا المكان ؟

وعلق مصطفى : لابد أن نرجع . وإلا أهلكنا جميعا .

وقررت «مروة» أن تدلى بدلوها ، وقالت لو لم نخرج من هنا سوف نموت هلاكا .

أما عائشة فكان لها رأى آخر تماما .

(٢٦)

أصابت «شرشور» حيرة بالغة وهو ينظر إلى أزرار أجهزته فى غرفة التحكم التى يرقب منها كل مايدور فى سرداب الغازات ، فقد اكتشف أن هنا ألف غاز ، وغاز يمكنه أن يطلقه فى متاهات السرداب كى يجول بها الخصمين اللدودين إلى مايشاء .

واستبدت الحيرة به ، فترى هل يطلق غاز الدموع فيجعلهما يبكيان؟ أم يطلق غاز الضحك؟ فيجعلهما يضحكان أو يطلق

الغازين معا فيبكيان ويضحكان فى نفس الوقت ، أم هل يبث غاز الحيرة أو غاز الغيرة ؟أو غاز الطموح القاتل أو الخمول والفشل . هل يرمى عليهما غاز السعادة أم غاز الحزن وهل يجعلهما يرقصان أم يولولان ؟

كانت أمامه عدة اختيارات لكن القلق أصابه ، فكلما اختار غازا ليطلقه اكتشف أن الآخر أفضل وله مميزاته ، وأنه لو أطلق غازا واحدا على «الشبح الأزرق» الذى كم عذبه وأهانه ، فإنه . سيحرمه من بقية الغازات . . لذا ردد «شرشور» من وراء الحاجز الزجاجى الذى يرقب منه الموقف :

ـ هذا الأزرق يستحق أن أطلق عليه كل هذه الغازات . . كى يأخذ درسا لاينساه .

. رأى «الفارس النادر » وهو لايزال يحمل الأزرق فوق كتفه ، وكأنه يفعل ذلك لضمان أن يمر من منطقة الخطر ويتجه بسلام إلى السرداب الثالث ، ولم يكن يعرف أى شىء بالطبع عما حدث من «الشبح الأزرق» تجاه « شرشور» .

ردد «شرشور» فى مكانه وهو يشاهد الخصمين فى منتصف السرداب :

ـ بضربة واحدة . أتخلص من عصفورين . .

ثم أطلق ضحكة خبيثة عالية وهو يردد :

ـ عصفوران . . رائع . . إنهما ليسا سوى فأرين من فئران السراديب المظلمة ، سوف أجعلهما يصرخان كالفئران . .

وانتابته الفكرة فجأة ، فلماذا لايطلق عليهما غازا يجعلهما يصرخان كالفئران المنتشرة فى السراديب ، وخاصة السرداب الأول . وبالتالى فسوف يحسان أنهما فى المكان الملائم لهما ، وسيعيشان بقية حياتهما فى هذه السراديب ، وقرر أن يضغط على زر الغاز الذى يجعل من يشمه يتصور أنه فأر ، لكنه فجأة تراجع وقد لمع ظلام الشر على وجهه ، وتمتم :

ـ رائع ، سوف أطلق على أحدهما غاز الفئران . . وسأجعل الثانى يموء كالقطط . . وستكون المطاردة بينهما مثيرة . .

ولكنه وقع فى حيرة فأيهما عليه أن يحس أنه القط ؟ وأيهما عليه أن يحس أنه الفأر ؟ فكر فى أن «الشبح الأزرق» يليق به أن يعيش فأرا طيلة حياته ، وأن أفضل عقاب له أن يحس أنه مطارد من خصمه الأبدى القط ، ولكن فجأة هتف :

ـ آه . . ولماذا لانقلب القصة . . ويصبح «الشبح الأزرق» قطا . . ويتصور النادر نفسه فأرا . . هأهأ . . مسكين أيها الفأر النادر ! !

وراح يدوس على الأزرار .

(٢٧)

رفضت عائشة فكرة الانسحاب من السرداب الثانى ، فهذا لن يجعلهم يستكملون الرحلة لإنقاذ العجوز أو «الفارس النادر » الموجود فى آخر السرداب ، لذا قالت :

ـ لسنا فى رحلة ، علينا أن نقطف ثمار البساتين . بل نحن فى مغامرة لإنقاذ صديقنا الفارس ولإعادة الوضع فى «مدينة الحكايات» كما كان . .

أحس الأصدقاء الثلاثة بأهمية ماتقوله عائشة . ففى غمرة متاعب هذه الرحلة ومفاجآتها كادوا أن ينسوا الهدف منها ، بل إنهم نسوا النظر إلى الخاتم الذى مع عائشة لمعرفة مكان صديقهم النادر الذى يتعرض الآن لخطر داهم وحقيقى فى السرداب الرابع . وبينما بدت الدهشة على الوجوه ، والتزم الثلاثةالصمت أكملت عائشة :

ــ أهم شىء فى أى مهمة هو الإصرار على النجاح فيها . . الإصرار . .

وهنا سمع الجميع صوت تصفيق يخرج من داخل المخلاة وجاء صوت« النطاط » الأشبه بصوت القراقوز يقول :

ــ رائع ياعائشة . . لهذا فإن النادر يتحدث عنك بالخير دائما . .

ثـم غير من لهجتـه وقـال كـأنه يـؤنـب الأصـدقاء الثـلاثـة . الإصرار . الحياة بدون إصرار تصبح بلا معنى . .

ويبـدو أن هـذه الكلمات وجدت صـدى فى أعماق مصطفى فصاح : هيا يـاشباب . سنخترق البستان ونخرج بسـلام من هذا السرداب . .

ومـا إن داس فوق أرض صلبـة بين أشجـار الفـاكهة متقـدمـا طريقه حتـى غاص فى رمال متحركـة غريبة الشكل ، بـدت رمالها بنفسجية ، كأن شخصا ماقد قام بدهانها . . فأطلق صرخة يطلب النجدة وأسرع إليه زملاؤه يريدون إنقـاذه ، لكن الغريب أن صوت النطاط قال بحزم :

- لاتقتربوا منه . . المكان خطير . .

وتسمروا جميعا فى أمـاكنهم ، وأحسـوا أن أحـدا لو تحرك قيـد أنملة فسوف يغوص ، ولن يخرج إلى الأرض مرة أخرى ، بينما علت صرخات مصطفى طالبا النجدة ، وبدا الموقف عصيبا ، فكل منهم عاجز أن يفعل شيئا لزميله بينما صوت «النطاط» يكرر :

- إياكم والاقتراب منه . . إنه فخ . .

وبدا من الـواضح أن مصطفى فى خطر حقيقـى وأنه سيختفى للأبد خلـف هذه الرمال البنفسجيـة المتحركة ، لكن فجـأة مدت عائشة يدها إلى الغصن القـريب منها غير آبهة أن يتحول إلى ثعبان

صفحة فارغة

أو إلى ديناصور ضخم ، وأرادت أن تنزعه كى تلقى به إلى زميلها الذى يختفى . وفجأة ما إن لمست الغصن حتى راح يجذبها بشدة وألقى بها فى الهواء .

(٢٨)

ما إن انطلق الغاز فى السرداب حتى شهد المكان أمورا بالغة الإثارة .

فقد اندفعت من الحائط أنبوبة بلاستيكية شفافة نحو أنف «الشبح الأزرق» الذى كان فى تلك اللحظات محمولا فوق كتف «الفارس النادر» ، وسرعان ما التصقت الأنبوبة بأنفه ، وكأنها كمامة لايمكن أن تنزع بسهولة ، بينما بدا غاز الفئران أو الغاز الذى إذا شمه إنسان أحس أنه تحول إلى فأر دون أن يحدث ذلك فعلا فى التسرب داخل المنطقة التى يوجد بها «الفارس النادر» .

أحس «خير الله» بالخطر قبل أن يبدأ ، لذا سرعان ما ألقى بخصمه الأزرق اللدود فوق الأرض ، وقبل أن يتسرب الغاز تضاءل جسمه وارتخت عضلاته القوية وبدأ يعود إلى هيئته كعجوز ثم تكوم فوق الأرض بسرعة غريبة ، وكأنه سوف يصبح كرة مستديرة سرعان ما التفت بسلوفان مقوى .

حدث هذا بسرعة منقطعة النظير ، سرعة أكبر من انطلاق

الغاز فى المواسير ثـم انتشاره فى المكان . . فى تلك اللحظـات كان الغاز قد بدأ يسرى فى جسد «الشبح الأزرق» الذى أحس بمشاعر القطط تسرى فيـه ، فبدأ يموء ببـطء ثم راح يتشمم المكـان بعد أن انتزعت من وجهه الكمامة .

وفى داخل غـرفة المراقبة وقـف «شرشور» غاضبـا وهو يصرخ ، وكأنه يوجه كلامه إلى «الفارس النادر » : آه أيها اللئيم كنت أعرف أنك ستفعل ذلك . .

وقرر «شرشور» أن يلقن هذا اللئيم ، حسب وجهة نظره ، درسا لاينساه طيلة حياته ، فأسرع بـارتداء كمامة خاصة واستعد أن يخرج من غرفة المراقبة ، وقد أمسك بيده مسدسا غريب الشكل أقرب إلى البندقيـة بفوهته الـواسعة التى يبلغ قطـرها ٢٠ سم تقـريبا ، وراح يردد :

ـ هذا المسـدس سيجعلك تشم مالم يسبق لـك أن شممته من قبل .

وخرج من الغرفة وراح يتحسس خطاه نحو منتصف السرداب وهو يلتفـت خلفه ، فقد تـوقع أن يهاجمه القـط الأزرق ، «الشبح الأزرق» سابقا ، بين لحظة وأخرى وأن يخدشه ، ولعله يصيبه بجرح بالغ . لذا استعد أن يطلق مسدسـه الواسع الفوهة فى أى لحظة . وبحذر شـديد تقدم ، وكانـت المفاجأة أنـه وجد المكان خاليـا من

القط الأزرق . بينما رأى الكيس السلوفان وقد تكوم العجوز بداخله إلى جوار الحائط تمتم :

ـ حسنا . . إنى أريدك أنت .

واقترب منه يريد أن ينزع عنه الغطاء السلوفانى كى يترك الغاز يحدث مفعوله به ، وبينما هو ينحنى ليقوم بهذه المهمة انطلق مواء القط الأزرق بشكل يثير الإزعاج فانتصب والتفت إليه . إنه «الشبح الأزرق» يتصور نفسه قطا ويلوح بيديه كأنها مخالب قط يريد أن ينشبها فى جسد «شرشور» .

حاول أن يدافع عن نفسه واستعد لأن يشهر المسدس فى وجهه ليطلقه عليه قبل أن يقترب منه ، ولكن فجأة تحرك العجوز داخل كيس السلوفان ، وراح يتدحرج فوق الأرض ، كأنه كرة دفعها لاعب ماهر بقدمه فراحت تتدحرج على الأرض بقوة نحو «شرشور» .

(٢٩)

طارت عائشة فى الهواء . . ثم بدأ جسدها يندفع نحو الأرض بقوة كأن عظامها سوف تنكسر إلى ألف قطعة ، لكن فجأة انفردت المخلاة وتحولت إلى مظلة تعلقت بها عائشة وبدأت فى الهبوط بسلام .

فى تلك اللحظات كان مصطفى يغوص أكثر فأكثر فى الرمال

المتحركة البنفسجية ، وأحس بجسمه ينغرس فى الرمال ـ بينما زميلاه ماجد ومروة قد التزما مكانيهما وقد أحسا بالعجز الشديد ـ نظر إليهما وكأنه يتوسل ثم قال بنبرة يملؤها الحزن :

ـ أنتما مصران ألا تنقذانى . .

وبسرعة تذكرت «مروة» ماردته عائشة قبل لحظات عن الإصرار، فهذا هو الخطر يصر أن ينتصر عليهم جميعا ، فقد طارت عائشة وهاهو مصطفى سيختفى بعد قليل ولايعلم سوى الله أى مصير ينتظرهما ، لذا قالت :

ـ بل أنت مصر أن تموت . .

وانبعثت الكلمات فى أعماق مصطفى الذى أحس أن الرمال التى تبتلعه أقوى منه ، وأن هناك إصرارا يبدو فى قوتها فى أن تأخذه معها إلى أعماق غامضة لم يخرج منها أحد من قبل ، وأحس بالتحدى ، فهناك معركة إصرار يجب أن تنشب ، فإما أن تبتلعه الرمال البنفسجية أو أن يخرج منها .

لذا راح يحرك قدميه كأنه يسبح فى البحر . فعل ذلك بصعوبة شديدة وحاول أن يقفز بجسمه إلى أعلى وكأنه يتدرب على العوم ، لكن فى بحر ثقيل لا أغوار له . هنا هتف ماجد :

ـ رائع . . حاول .

وحاول . ورغم أن الرمال بدت ثقيلة ، ورغم أن جسمه

الصغير بـدا أضعف مـن قوة سحـب الرمـال إلا أنه حـاول وازداد إصرارا ألا يغرق. فحرك قدميه بحرية أكثر وأيضا يديه وصاح :

ـ إنها خفيفة . .

وفجأة سقط الصـديقان ماجد ومـروة فوق الرمال ، لا بـل فوق المياه. ففـى تلك اللحظات تغيرت كثـافة الأشياء وشكلهـا فى هذا المكان الغريب الذى لايبقـى فيه الحال على وضع واحد . . فهناك دورة لكل شىء يتحـول بعدها إلى شىء آخـر ، بينما راح مصطفى يحرك جسمه كله للسبـاحة فى الرمال المتحركة الثقيلـة . جاء الدور لتتحول إلى سـائل زيتى القـوام يميل إلى الأخضرار، بينما وجـد كل من ماجد و«مروة» نفسيهما يسقطان فى البحـر الزيتى القوام، وهنا هتف مصطفى :

ـ ما أسهل السباحة الآن !! هيا نهرب من هنا . .

ولأنه سباح ماهر فقد قـرر أن يفعل شيئا غريبا فى هذه البحيرة الغـريبة . أن يغـوص فى الأعماق، وسرعان مـافعـل وسط دهشـة الزملاء.

(٣٠)

إنها أول كرة تطارد الرجل الذى يود أن يلعب بها . .

لذا سرعـان ما أصاب الخوف « شرشور »، ووجـد نفسه يحاول

الهروب من تلك الكرة المتدحرجة نحوه بسرعة هائلة ، فقد استطاع العجوز أن يكور نفسه بمهارة داخل الكيس السلوفان وتمكن من السيطرة على جسده ، وأخذ يتدحرج ناحية « شرشور » الذى هرول فى دهاليز السرداب الرابع يحاول أن يتخلص من الشر الذى يلحق به .

ونجحت الكرة فى أن تصطدم به وأن تسقطه فوق الأرض ، وكانت سقطة بالغة القوة انكسر على أثرها القناع الواقى الذى وضعه على وجهه . . فأخذ يصرخ بحدة وهو يقول :

ـ لا . . لا أريد أن أكون قطا . ولا فأرا . . مياو . .

وراح يموء كالقط ، ولكنه لم يكن يعرف أن الغاز المنتشر فى السرداب جعله يحس بأنه فأر ، لذا ما إن سمع مواء القط الأزرق حتى راح يهرول من جديد خوفًا أن يفترسه أشد الافتراس .

وبينما بدأت أغرب مطاردة بين شخصين تصور أحدهما أنه القط الأزرق ، والآخر أنه الفأر شرشور خرجت الكرة السلوفانية ناحية غرفة التحكم ، ودفعت الباب خلفها حتى ينغلق ، وهنا أحس العجوز أنه فى مكان آمن فراح ينفض عنه الكيس السلوفان بحذر شديد وراح يتشمم أجواء الغرفة . . ثم أزاح عن نفسه كل السلوفان .

وأسرع العجوز ينظر إلى شاشة المراقبة ورأى تلك المطاردة الغريبة بين القط الأسود «وشرشور» . إنها أشبه بمطاردة كل قط شرس لفأر ملئ بالشرور يسعى إلى التهام الأطعمة فى البيوت ويحاول أن يفسد الملابس الثمينة .

هنا راح العجوز يفتش عن وسيلة لتشغيل جهاز الغازات وانتابته الفكرة أن يطلق مزيج الغازات إلى داخل ممرات السرداب كى ينتقم من «الشبح الأزرق» و«شرشور» ، ولكنه تذكر أن المبدأ الأساسى فى «مدينة الحكايات » هو عدم الانتقام من الأعداء ، وأن الحكمة الكبرى هناك هى التى يرددها حكيم المدينة :

« أنا لا أنتقم من أعدائى ، فأنا لا أستطيع أن أطارد كلبا لأعضه كما عضنى » .

هنا تذكر أهله وأبناء مدينته ، وبدأ يتساءل عن مصيرهم وماجرى لهم ، فهو حتى الآن لايعرف حقيقة ماحدث، ثم راح بسرعة يراجع ماجرى له وماسمعه من «الشبح الأزرق» ، وهو شبه فاقد للذاكرة فى السرداب الخامس . . وهتف :

ـ يا إلهى . . إنه أمر بشع ! !

كانت عيناه قد وقعتا بالمصادفة على لوحة إعلانات معلقة على الحائط وراح يقرأ ما بها . إنها تنذر بَشر لامثيل له فى الوجود . فقد

بدا أن «شرشور» قد أعد لكل مدينة فى العالم غـازها الخاص الذى عليه أن يطلق عليها ، وذلك بعد إصابة «مدينة الحكايات » بداء النسيان .

وفى دقائق قليلة فهم ما حدث له وماجرى لمدينته من خلال تلك الخطة الشيطانية التى كان ينوى «شرشور» تنفيذها ، بل إنه نفذها على مدينته وراح يفكر فيما عليه أن يفعله .

كان أول شىء عليه أن يفعله هو العثور على علاج أكيد لمرض النسيان ثم أن يخرج من هذا السرداب الملئ بالمتاعب . .

(٣١)

حاول مصطفى أن يجرب مهارته فى السباحة خاصة فى الأعماق فراح يغوص فى وسط بحيرة من الزيت الثقيل ، ورغم أن السباحة فى مثل هذه البحيرة أمر صعب للغاية ، فإنها بالطبع أسهل من تحريك الأعضاء فى الرمال المتحركة .

كان المنظر غريبا ونتيجة لفرحته الشديدة بنجدته من الرمال القاتلة ، فإنه راح يسبح لأغوار لم يتصور أنه سيصل إليها ، وفجأة شاهد بوابة غريبة الشكل كأنها لكهف ضخم أو ربما لسرداب غامض مكتوب عليه « السرداب الثالث » .

لم يكن يتصور أن يكون هذا هو باب السرداب الثالث الذى

عليهم الولوج منه من أجـل الوصول إلى مكان «الفارس النادر» .
فلم يصدق عينيه ، وتصور أنها خدعة بصرية فراح يلج منه وما إن دخله سابحا حتى وجد نفسه واقفا على قدميه فى مكان غريب ملئ بالملاءات التى تدفعها الـرياح فـلا يُرى ماذا خلفهـا . فحاول أن يعود مـرة أخرى إلى البوابـة التى جاء منها ، لكـن الباب بدا كـأنه اختفى تماما عن الأنظار .

وتملكته الحيرة الشديـدة . فترى ماذا يفعل ؟ لقد ضـل طريقه حتما وافترق إلى الأبد عن أصدقائه .

فى تلك اللحظـات أحست «مـروة» وماجـد بأن مصطفـى قد غطـس طويـلا فى الأعماق ، وبدأت المخـاوف تتسرب إليهما ، بينما كانـت عائشـة واقفة عنـد طرف البحيرة تنـادى عليهما وهى تخاف الاقتراب فهى لاتعرف السباحة مثل بقية أصدقائها .

صاحت «مروة» : لقد غاص . . ولم يخرج . .

هتف مـاجد موجهـا كلامـه إلى عائشة فى مكـانها : أخشى أن يكون قد غرق .

قـالـت عـائشـة وهـى تحاول أن تتحلى بـالشجـاعـة : لا . . مصطفى بطل الغوص لايمكن أن يغرق بسهولة . .

قالت «مروة» لماجد : وأنا أيضا بطلة فى السباحة . . سأغوص للبحث عنه .

صفحة فارغة

قال ماجد : سآتى معك . .

ومـا إن غابـا عـن سطح البحيرة الـزيتيـة خضراء اللون حتـى وجدت عائشة نفسها وحيدة فى بمكان مـوحش غريب رغم شكله الجذاب الـذى يوحـى بفردوس مفقـود ، لكنـه فى الحقيقة بستـان وهمى تتغير أشكاله بسرعة .

صاحت : خذانى معكما . .

لكنها تـذكرت أنـه لاتجيد السباحـة . وأنها سوف تهلـك سواء قفزت وراءهما أو بقيت فى هذا المكان الموحش . هتفت قائلة كأنها تخاطب النطاط :

ـ سنهلك وأمرنا لله . .

وحملـت معهـا المخـلاة واستعـدت للقفـز فى البحيرة الـزيتيـة وراحت تردد بعض آيات النجاة من القرآن الكريـم .

(٣٢)

استبدت الحيرة بالعجوز وهـو ينظر إلى الجهاز المتعدد الأزرار ، فقد فهم أخيرا أن هناك زرا لكل غـاز اخترعه شرشور . ولكنه الآن يود أن يأخذ معه غاز الذاكرة كي يعيد أبناء «مدينة الحكايات » إلى سيرتهم الأولى ، ولم يكن الأمر سهلا ، فلا أحـد يعرف تشغيل هذا الجهـاز سـوى «شرشـور» نفسـه الـذى يجرى الآن هـربـا فى دروب

السرداب الرابع متصورا نفسه فأرا .

راح العجوز يفكر فيما يمكن أن يفعله ، ثم أخذ يتفحص الجهاز بدقة ، وتوصل إلى أن هناك مجموعة توصيلات اليكترونية معقدة تنتهى بأنابيب رفيعة للغاية تسرى فيها الغازات . هنا أحس بارتياح وهو يتتبع توصيلة غاز الذاكرة بالأنبوبة ، وتنهد مرددا :

ـ هذا إذن أول الخيط .

وراح يبحث عن وسيلة للحصول على الغاز بأى ثمن ، فليس أمامه سوى أن يحمل هذا الجهاز وتلك التوصيلات معه ، ولكن هذا هو الجنون بعينه فلايمكن نقل كل هذه التكنولوجيا المتطورة خارج هذا السرداب .

فكر من جديد ثم هداه تفكيره إلى :

ـ يجب أن أعبئ الغاز فى شىء .

ثم نظر حوله ورأى الكيس الذى ألتف فيه قبل قليل واكتشف أن هناك قطعة من الكيس يمكنها أن تصبح بمثابة بالون ، فأسرع إليه وراح يجهز منه مايناسب هدفه ، ثم تأكد أن الكيس يمكنه أن يتحمل ، فراح يقترب من فتحة الأنبوبة ثم بدأ يضغط على زر غاز الذاكرة .

مر الوقت ببطء . ولأن الغاز مركز فقد تسرب بأقل سرعة ممكنة ، لكن الكيس بدا كأنه يستوعب الغاز حتى أصبح بالفعل

كالبالون ، وهنا بدأت الخطورة تظهر، فقد اكتشف أن أى اصطدام يمكنه أن يجعل الكيس ينفجر ، فالغاز ثقيل وجدرانه النايلون أضعف من أن تتحمله .

لذا حاول أن يمسك الكيس بحذر شديد ، وراح ينظر إليه بكل امتنان وهو يردد :

ـ أنت أمل وطنى وأبناء وطنى .

وقرر أن يخرج من المكان بأى ثمن، بل أن يخرج من السرداب الرابع وأن يجابه كافة الأخطار التى ستقابله، شريطة أن يصل بالكيس النايلون سليما فى النهاية إلى «مدينة الحكايات» .

وفتح باب الغرفة ثم تذكر أن عليه أن يعود كى يضع الكمامة على أنفه ، وبالفعل فقد عاد ليأخذها وخرج مرة أخرى واتجه نحو بوابة السرداب الرابع التى تؤدى به إلى السرداب الثالث .

سار على طرفى قدميه حتى لاينتبه إليه كل من «شرشور» والقط الأزرق ـ «الشبح الأزرق» سابقا ـ اللذين لم يسمع لهما أصواتا حتى الآن وأحس بالأمان ، وهو يقترب من بوابة السرداب وتحسس الكيس كأنه يطمئن على كنزه الثمين .

ثم بدأ يخرج من باب السرداب، لكن فجأة انطلق صوت قط شرس وقفز فأر نحو الكيس . إنهما ليسا سوى خصمه اللدود وشرشور اللذين إنقضا على الكيس وراحا يمزقانه بأطرافهما التى

تصوراها مخالب حادة .

وكانت المأساة . . فسرعان ما انفجر الكيس النايلون بفعل قوة القفز وراح غاز الذاكرة يتناثر فى المكان .

(٣٣)

رددت عائشة وهى تلهث :

ـ لقد وصلنا إلى هنا بأعجوبة .

لم يتوقف الجميع عن اللهاث فقد كادوا أن يفقدوا عائشة بالفعل تحت بحيرة الزيت الكثيف ، رغم أن المخلاة البيضاء التى بداخلها النطاط قد تحولت بعد أن قفزت فى المياه إلى عش صغير أشبه بالغواصة ، فإن عائشة انتابها خوف من الأعماق . وحاولت أن تتخلص من عقدتها هذه بلا جدوى .

ولذا جاهد كل من ماجد ومروة لسحبها معهما بعد ان اكتشفا هما أيضا أن بوابة السرداب الثالث غائصة فى أعماق البحيرة . . أحسا أن الوقت قد لايكون فى غير صالحهم جميعا ، وأن البحيرة الزيتية قد تتحول من جديد إلى رمال متحركة أو أشياء أخرى أشد خطورة لعلها تصبح فوهة بركان أو أعماق أرض تتشقق ويصيبها زلزال .

وما إن نجحا فى سحبها حتى بدأت تحولات البستان الكاذب

وراحت جذور أشجار جديدة تمد أطرافها فى أرض جديدة ، وبدت كأنها زوائد أخطبوط تريد أن تلف حوله أى شىء ، وأن تمتص منه الغذاء وبدأت أعماق البحيرة الزيتية تتحول إلى تربة طينية رمادية اللون واندفع الصديقان يسحبان زميلتهما حتى عبروا البوابة فى آخر لحظة .

وراح الجميع يلهثون ويتنهدون وقد شغلتهم الدهشة من أن يفلتوا فى آخر لحظة عن عناق زميلهم مصطفى الذى كان ينتظرهم هناك . صاحت «مروة » :

ـ لقد كادت هذه الزوائد أن تسحبنى معها . .

وبدأت عائشة فى ترديد عبارات الشكر ، بينما التفت ماجد حوله وراح بما لديه من حب استطلاع ينظر إلى السرداب ، وقال :

ـ هل هذا هو السرداب الثالث . .

هنا جاء صوت «النطاط» من داخل المخلاة الذى بدا كأنه لايزال يلهث أيضا ، وكأنه لايصدق أن النجاة قد كتبت له وقال :

ـ إنه سرداب «أبومليار ومليار» .

وكان هذا وحده كفيلا ان يوقف اللهاث وأن يثير دهشة جديدة . فمن يكون «أبومليار ومليار» الذى يتكلم عنه «النطاط» ؟ سأل مصطفى :

ـ من هو بالضبط ؟

رد« النطاط» : لا أحد يعرف . . أنا فقط سمعت عن اسمه . ولم اتشرف برؤيته .

(٣٤)

انتابت «مروة » فكرة فسألت :

ـ اسمع يانطاط . . لماذا لاتخرج إلينا كى نراك ؟

وكأنه كان يتوقع هذه الكلمات ، فقال :

ـ إذا خرجت من هنا سترونني وأخاف عليكم أن ترون كم أنا فاتن . !

وانطلقت الضحكات الخفيفة . ثم جاء سؤال مصطفى ثانية :

ـ لكن من هو «أبومليار ومليار» الذى تتكلم عنه ؟

وأيضا سرعان ماجاءت الإجابة : لوقلت لكم الإجابة فسوف يفقد الجواب قيمته . انتظروا حتى تروه بأنفسكم .

كان المكان غريبا ، فهناك أشياء أشبه بأحبال عالية معلقة عليها ملاءات ضخمة بعضها أزرق والآخر أبيض أو أحمر . جميعها ألوان سادة لكنها تعطى فى منظرها العام لون الزركشة ، تتحرك بفعل الرياح ، فتبدو كأنها موجات خفيفة متعددة الألوان ، تساءل ماجد :

ـ هل هو وراء تلك الملاءات ؟

رد «النطاط» من مكانه : لاتتعجل على رزقك . . كل شىء بأوان . .

وبدأت الشكوك تتسرب إلى قلـوب الأصدقاء ، فهل صـاحب هذا الاسم الغريب بمثابة رزق ، وماذا يكون بالضبط ، ومن الذى أطلق عليه « أبومليار ومليار » ؟وهل هو كائن شرير ؟ فجأة قالت «مروة» :

ـ اكيد يشبه « أبو » فروة . .

ردت عائشة وهي تحاول المزاح : أو أم « أربعة وأربعين » .

قال «النطاط» فى شىء من الحزم : إنه يسمعنا فلـه مليارا أذن على الأقل .

وتوجس الصغار من الخوف ، فماذا يكون ذلك الكائن صاحب المليار إذن ، لابد أنه متوحش ، تسـاءلت «مروة » : هل يسمع بها كلها فى نفس الوقت . . ؟

لم تسمـع ردا لأن مصطفـى تصور أن الأمـر لايعـدو أن يكـون مزاحا وأنه لاوجود قط لكائن بهذا الاسم ، لذا صاحت كأنها تناديه فى سخرية :

ـ يا « أبو مليار» . . أنا عائشة . . هل تسمعنى ؟ حول . .

وتردد صـوتها فى السرداب ، فارتد صـداه إليها ولم يسمـع أحد إجابة لندائها، لذا سرعان ماضحكت عائشة ، بينما اكتفى الآخرون بـالابتسـام الشاحـب، وجـاء صـوت «النطـاط» هامسـا ، مليئـا بالتحذير:

ـ جازاك الله . . إنه يسمعك . .

ورغم التحـذير . فـإن عائشة بـدت كأنها تريـد أن تتأكـد من شيء فهتفت مرة أخرى :

ـ يا « أبو » مليار . . هل تسمعنى ؟ حول . .

ثم ساد صمت قاتل ، وفجأة سمعـوا أصواتا غريبة تردد كأنها جيش من الكائنات يتكلم فى نفس الوقت :

ـ أسمعك مليار مرة . . بل أكثر . . حول .

(٣٥)

تشبث الأصـدقاء ببعضهـم البعض وبـدوا كأنهم يحتمـون من خطر قـادم ، فهذه أصوات غريبـة متلاحمة تتكلـم ، لمعـت العيون من الدهشة والترقب ، ونظر الأصدقاء إلى بعضهم ثم جاء الصوت الغريب قائلا :

ـ أهـلا بكـم ، فى سرداب «النطاط » . لقـد انتظرتكم منـذ أمد طويل .

وهنا ارتاحـت الأعصاب واسترخت ، فقد أحـس الأصدقاء فى هذه الأصوات أنها نـابعة من كائنات طيبة غير شريرة خاصة حين قال : لدينا خصم مشترك . . «الشبح الأزرق» .

صاحت «مروة » : أين يا « أبو مليار» . .

تدخل «النطاطا» قائلا : ومليار . . لاتقللى من شأنه . .

قال ماجد : أين أنت . . هل أنت صحيح أبو مليار . . ومليار ؟

جاء الصوت قائلا : أنا هنا . . وراء الملاءة البيضاء .

نظر الأصدقاء إلى الملاءات المتطايرة واكتشفوا أن هناك أكثر من واحدة بيضاء . . لكن قبل أن يتساءل مصطفى عن الملاءات بالضبط صاح : ها هو . . إنه هناك . .

رأى خياله خلف الملاءة . وأصابته الدهشة . إنه كائن صغير. فكيف يكون له هذا الاسم ؟ صاحت عائشة : أنت هناك . . سوف آتى إليك . .

وأسرعوا إليه ، راحوا يرفعون الملاءات الواحدة وراء الأخرى حتى وصلوا إلى الملاءة البيضاء التى يوجد خلفها ، كان هناك مقيدًا إلى جوار الجدران الصخرية . . هتفت مروة :

- يا إلهى . . ماذا أرى . ؟

كان كائنا غريب الشكل لايمكن لأحد أن يصفه ولا أن يدقق فيه ، ولذا وضعوا أيديهم فوق أعينهم أحسوا أنه من البشاعة بما لايمكنهم أن يطيقوا التأمل فيه ، كما أنه من الطيبة مما يجعلهم ينظرون إليه بمزيج من الرثاء والإعجاب ، خاصة أنه مقيد بسلاسل من حديد إلى الجدار الصخرى . قالت عائشة وهى

صفحة فارغة

تنحنى نحوه : هل أنت جوعان ؟

وقبل أن تسمع الإجابة تساءل ماجد : وماهذا . . ؟

رد« أبومليار . . ومليار» فى أسى : إنه سبب بؤسى .

لم يكن سوى جهاز تسجيل راح يردد بعض الموسيقى النشاز قال مصطفى :

ـ هل تريد سماعه . . ؟

رد أبو مليار: لقد حكم علىّ «الشبح الأزرق» أن أسمعه للأبد .

ودون أن تفكر ، دفعت عائشة زر الجهاز فأوقفت الموسيقى المزعجة وهى تردد : إنها شىء بشع . .

هنا تنهد أبومليار . واستراح ، وقال : آه . . كم أشعر بالارتياح الشديد !!

(٣٦)

وارتاح «أبو مليار ومليار» بعد العناء الشديد . إنه المخلوق الوحيد فى دنيا الحكايات الذى له مليار أذن ومليار فم حتى إذا سمع شيئا ترددت الأشياء فى داخله ، فإذا كان شيئا جميلا سبب له البهجة والسعادة مليار مرة ، بل أكثر ، وإذا كان شيئا قبيحا مثل تلك الموسيقى النشاز أحس بالعذاب يؤرقه ، ولأنه طيب يجب أن يسمع الحكايات الجميلة ، فقد أتى به «الشبح الأزرق» إلى هذا

المكان وربطه فى السرداب الثالث كى يثير خوف الزائرين بأصواته الخشنة التى تخرج من فمه كأنها صادرة من ألف لسان ولسان ، فلا يجرؤ أحد على الاقتراب من السرداب الثالث .

لذا جاهد قدر الإمكان أن يتكلم بلسان واحد عندما سمع الأصدقاء الصغار يتحدثون فى أطراف السرداب . عرف أنهم قد جاءوا من أجل إنقاذ صديقهم «الفارس النادر» . لذا قال :

ـ أنتم مثال المثابرة والصداقة الوفية . . ؟

سألت عائشة : هل تعرف قصتنا ؟

رد أبو مليار : وهل هناك من لايعرف بالقصة . فالشبح الأزرق يمر هنا يوميا ، كى يذهب ليعذب العجوز المسكين .

هتفت «مروة» كأن الجميع تذكر فجأة سبب الرحلة التى جاءوا من أجلها :

ـ آه . . أين هو . . علينا أن نراه . . إنه فى السرداب الخامس .

وقبل أن يرد أبو مليار نظرت عائشة إلى الخاتم الذى فى يدها وراحت تتأمل فيه ، ولم يدهشها ماتراه فقد ظهر العجوز متكوما من جديد فوق الأرض ، وقد أمسك بيده عصا ظهرت معه لأول مرة لكنها فجأة صاحت :

ـ يا إلهى . . إنه خلف ملاءة حمراء . .

قال أبو مليار : إنه هنا . . لقد وصل لتوه . . مسكين .

وهنا علتهم الدهشة : مسكين !!

ترى ماذا يقصد ، انطلق الأصدقاء يبحثون عنه وينادونه ، أما أبو مليار فقد ردد :

ـ اتركوه فى حاله . . ولاتقلبوا عليه المواجع .

بدا الموقف خطيرا ، فقد ترك الأصدقاء «أبو مليار» مقيدا إلى الجدار الصخرى وانطلقوا يبحثون عن العجوز وسط الملاءات المتطايرة ومالبثوا أن وجدوه . لم يتصوروا أنه قريب منهم إلى هذه الدرجة وتخيلوا أن أمامهم عدة سراديب على الأقل قبل أن يصلوا إليه ، لكن الدهشة ازدادت وهم يرونه . بدا كأن السنين قد تركت أثرها أكثر فيه ، وأنه أصبح أكثر شيخوخة مما كان عليه بعشرين عاما على الأقل . اقتربوا منه . ولم يود أحدهم أن يعانقه فقد كان يقبض على شىء لم يعرف أحد ماذا يكون بالضبط . إنه كيس من النايلون يبدو ممزقا .

(٣٧)

سمع الأصدقاء صوت « أبو مليار ومليار» يردد وهو فى مكانه :

ـ اتركوه فى حاله الآن . .

هتفت عائشة : لقد نسينا أن نفك قيده .

وأحسوا بحيرة ، فهل يعودون إلى « أبو مليار ومليار» من أجل أن

يفكوا قيده أم يحاولون مساعدة العجوز فى الوقوف ، بل وأن يتحول إلى فارس نادر . مد مصطفى يديه إليه بينما حاول ماجد أن يرفعه ، لكنه بدا أضعف من أن يرفعوه . . هتفت «مروة» :

ـ ماذا حدث بالضبط . . ؟

وجاء صوت «النطـاط »مليئا بالأسى . انها أول مـرة يكون على هذا الحال . . لعله تعرض لتعذيب شديد .

لم يتكلـم العجـوز ولم يعلـق بكلمـة ، بـل جـاء التعليـق مـن «أبومليار» : ساعدوه ما استطعتم .

تساءل ماجد : وماهذا الكيس النايلون ؟

وجاء الرد : إنه سبب المصائب . .

وتلاحقت الأسئلة : وأين «الشبح الأزرق» ؟

وتلاحقت الأجوبة : لقد لقى جزاءه . . أصبح قطا أزرق .

انحنى مصطفى من جديد نحو العجوز، وسأله :

ـ هل تعرفنى . . أنا مصطفى . وتلك عائشة .

وبدا كـأن العجوز لايعرف أحـدا ممن يقفـون أمامه . وأنـه قد أصيـب بـداء النسيان مـرة أخـرى ، ولأن الصغـار لايعرفـون مـاذا حـدث: بـالضبـط ، فقـد تصوروا أنـه لايـزال فى حـالـة نسيـان صاحت ، عائشة :

ـ ياله من قاسٍ ، ذلك النسيان . .

رد أبو مليار : بل هى الصدمة . . الكيس النايلون . .

وكان عليهم أن يعرفوا ماذا حدث بالضبط . ولأن « أبو مليار ومليار» كان على مقربة من الأحداث الأخيرة ، ورأى العجوز يمرق من بوابة السرداب الثالث حاملا كيس الذاكرة ، لكن القط الأزرق «وشرشور» لحقا به وأنشبا أظافرهما التى تصوراها مخالب ، فتناثر الغاز فى المكان وفجأة دبت القوة فى العجوز فتحول إلى الفارس الشجاع النادر للحظات ، ودفع بخصميه نحو السرداب الرابع قبل أن يغلق بابه عليهم ، ولكنه اكتشف فجأة أنه فقد أغلى شىء ، فقد تسرب غاز الذاكرة فى أجواء السرداب الثالث وسرعان ماحط عليه شعور عظيم بالذنب ، فتضاءل مرة أخرى حتى عاد إلى سيرته الأولى كرجل عجوز ، وبدأت الشيخوخة تدب فيه أكثر فأكثر كلما ارتفعت حدة إحساسه بالذنب حتى أصبح على هذه الحال .

وما إن سمع الصغار هذه الحكاية من « أبومليار» حتى نزل عليهم الهم كأنهم سوف يصابون بدورهم بشيخوخة مبكرة وسيكون مصيرهم مثل مصيره .

هنا ردد « أبومليار ومليار» . . خسارة لقد فشلت المهمة . .

ثم أكمل : كان هناك أمل . . ولكن . .

(٣٨)

قال : هناك دائما أمل . . أولا . . ارفعوا الستائر . .

لم يحس الأولاد بأى أمل ، إلا بعد أن جاء صوت «النطاط» فى حزم : اسمعوا كلامه . . اسمعوا كلامه .

بدا كأنه يصدر إليهم أوامر، وأحسوا أن عليهم الامتثال له ، أسرعوا يرفعون الملاءات التى تشكل حواجز فيما بينهم ، لم يعرفوا أين يتركونها ، لكن ما إن يتم رفع واحدة منها حتى تختفى وتطير فى فراغ لايراه أحد . . حتى خلا السرداب من كل الملاءات والستائر وظهر العجوز فى حال يرثى له ، هنا قال «أبو مليار ومليار» :

ـ هل تعرفون لماذا ستفشل الرحلة ؟ . لأن إصراركم كاد أن ينهزم بمجرد أن رأيتموه . . وهل تعرفون لماذا هو فى هذا الحال ؟ . لأنه يعرف أن هذه نهايته ، وأن أحدا لن يذكره فى الحكايات بعد ذلك .

بدا كلامه مثيرا للتفكير وللحماس وراح يكمل :

سوف تزداد الحالة سوءا كلما ازداد إحساسه أن عالمه انتهى . . عالم الحكايات الفنطازية الجميلة .

قالت عائشة : خسارة . .

تدخلت «مروة» : ترى هل ينتهى عالم الفنطازيا والحكايات الجميلة هكذا بسهولة . ؟

جاء رد « أبو مليار» :

ـ من يتصور هذا لواهم . . فطالما هناك من يؤلف وطالما هناك من يقرأ فالحكايات لن تنتهى .

صرخت عائشة : أنا أحب التأليف . .

ردد مصطفى وماجد معا : ونحن نحب القراءة .

صاح «النطاط » : رائع . . إذن احكوا له قصة جميلة ومثيرة . .

قال ماجد : أنا أعرف ألف حكاية . . وحكاية .

ردد «أبو مليار» : رائع . . وأنا دائما أتمتع بالحكايات . . سوف أسمعها بآذانى التى تزيد عن المليار والمليار وأرددها بلسانى ذى المليار والمليار طرف . . وسوف يسمع الناس الحكايات وستعود الذاكرة إلى «مدينة الحكايات » .

ثم ردد فى يقين : ليس بغاز الذاكرة تعود الذاكرة ، بل بالعمل والحكايات الجميلة ، هيا ياأصدقاء أسمعونى مالديكم .

قال ماجد : اسمع أول حكاية .

ردت عائشة : بل اسمع حكايتى . .

قال مصطفى : حكاياتى أحلى . .

تدخل «النطاط » : بالترتيب ياصغار . . لاتفسدوا الأشياء الجميلة . .

وبعد قليل تحول السرداب الثالث إلى أحلى مكان فى العالم

صفحة فارغة

لقصص الحكايات الجميلة ، وبدأت آذان « أبومليار ومليار » تنصت باستمتاع ، وبدأت التجاعيد تذوب من فوق وجه العجوز شيئا فشيئا ، ثم راحت النضارة تبدو فى عينيه . . واستمر التحول حتى دبت فيه كل الحيوية فانتفخت عضلاته وطالت قامته حتى راح يملأ المكان بحيويته .

رقم الايداع : ١٩٩٦/٧٨٩٢
I.S.B.N. 977 - 09 - 0343 - 4

مطابع الشروق

القاهرة ٨٠ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت . ص ب° ٨٠٦٤ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ـ ٨١٧٢١٣ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)